العدد ٨٩٩ — ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

دفاع عن الثقافة العربية ... ... : للاستاذ عمر حليق ١٠٧٦

محمد رشيد رضا ... ... لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ١٠٧٩

بناء المسارح الحقيقية ... ... : للاستاذ يوسف الخطاب ... ١٠٨٢

سبيل النقد الفنى ... ... : » ماجد فرحان سعيد .. ١٠٨٥

من وحى المؤتمر الثقافى العربى ... : للانسة عزيزة توفيق ١٠٨٨

الأمل الذاوى ... ... : للاستاذ أحمد شفيق حلمى ... ١٠٨٩

فى مصر (قصيدة) ... ... : للانسة فدوى عبد الفتاح طوقان ١٠٩١

الخطيئة المجسمة (قصيدة) ... : للاستاذ محمد مفتاح الفيتورى ١٠٩١

(تعقيبات) — ذكريات يثيرها العيد — اتجاه جديد لتوفيق الحكيم ١٠٩٢

— حول مشكلة الفن والقيود

(الأدب والفن فى أسبوع) — الثقافة العربية فى المؤتمر الثقافى — إهمال ١٠٩٧

الفنون — تكوين المؤتمر — العنصر النسوى فى المؤتمر

(الكتب) — من وحى السيرة — تأليف الأستاذ جمال الدين ١١٠٠

الرمادى للاستاذ محمد محمد على — قصص تمثيلية — لعميد الأدب العربى معالى الدكتور طه حسين بك — للاستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد .

(القصص) — الحلة السكرية — للكاتب القصصى التركى الأستاذ. ١١٠١

تا نكور — للاستاذ برهان الدين الدافستانى .

٣٥٠ ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

LeCaire - 25 — 9 — 1950

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

18me : année No 899

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٩٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٩ — ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

دفاع عن الثقافة العربية

للاستاذ عمر حليق

— ٣ —

قال (بروكس أتكنسون) الناقد المسرحى لمجلة النيويورك تايمس الواسعة النفوذ :

« على الرغم من أن الثقافة الأمريكية لاتلقى الاحترام الكافى فى كثير من بقاع العالم إلا أن الأفلام والمسرحيات والكتب الأمريكية تلاقى رواجاً واسعاً فى تلك البقاع يعادل رواج البضائع والمنتجات الصناعية الأمريكية . فان الروح التى تنتج هذه الأفلام والمسرحيات والكتب هى نفسها التى تدير الآلات وتصنع السيارات والطائرات والثلاجات التى تسيطر على معظم أسواق العالم . »[1]

ووضع الانتاج الصناعى على قدم المساواة مع الانتاج الفنى والأدبى فى الحضارة الأمريكية المعاصرة هو الوصف الصادق لروح الثقافة الأمريكية . ولو سلمت مع (هيجل)[2] بأن للثقافة روحا فان للثقافة الأمريكية روحا مادية تنتج الأدب والفن ليخدم الناحية العملية فى النشاط الصناعى ، أو بمعنى آخر تجعل الانسان فى خدمة الآلة تسترقه فيتفانى فى ماديتها على حساب النواحى الأخرى فى النشاط الانسانى . والأمريكى يفخر بأن ليس للثقافة المتازة مكان فى سلوكه وفى أهدافه وما يصبو إليه من مجد ورفعة و « نجاح » . وهذه النظرية البرجوازمية هى المسئولة عن رواج أدب اللذة والمجون فى أمريكا وسيطرته على عناصر الغذاء الفكرى للقارى . فالكاتب والفنان هناك لا يرتفعان عن ذوق السطحيين والذين من طبائعهم «عامية الذهن وسطحية الفكرة وسآمة الجد » . وتاريخ الفكر فى أمريكا لم يسمح للمثقف الممتاز الفنان الأصيل والعالم المتبحر أن يحتل المكانة والنفوذ والسلطة التى سمحت له بها الثقافات الانسانية الأخرى .

ولذا فان مساهمة أمريكا فى الحضارة العالمية هى فى الواقع مساهمة « صناعية » وليست ثقافية بمعناها التقليدى المعروف . ولذا فليس للمستجير من الثقافة الأمريكية ، مجال للاختيار فالبضاعة فى مجملها بضاعة صناعية، اللذة والمجون جوهرها .

والأمريكى يكره السلطة بجميع أنواعها ثقافية كانت أو سياسية . ومن ثم انكر الأمريكى على مثقفيه المتازين أن يحتلوا مكان التوجيه فافتقرت الثقافة الأمريكية إلى المدارس الفكرية العميقة التى تتميز بها ثقافات الأمم . وانكر الأمريكى

راجع
Brooks Dikinson . In Defence of Amer, Can Materialism
Hegel , Philosophy of History.

على المثقفين الممتازين كذلك أن يحتلوا مكانة اجتماعية ونفوذاً أدبياً يفوق مكانة الصانع والمزارع بالرغم من التفاوت فى المواهب العقلية وأهمية الانتاج فى التراث الفكرى . وقد أعرب أحد أقطاب الفكر الأمريكى عن هذه الحقيقة حين قال :

« قاموس الكاتب الأمريكى هو الحياة العملية (المادية) . فالفن والثقافة الرفيعة تعد من قبيل الهراء والسخف إذا لم تتمش مع مقومات هذه الحياة العملية »[1]

وسبب ذلك أن أسس المجتمع الأمريكى بنيت على المزارع والنجار والحطاب الذين فرضت عليهم حياة الهجرة فى أوائل التاريخ الأمريكى أن يواجهوا الحياة بأيديهم قبل معالجتها بعقولهم ومواهبهم الأدبية والفنية . ومرت الأجيال وعاد المجتمع والحضارة الأمريكية أن على هـــذا الأساس من المثالية . فكان ان احتل المسرح والفلسفة والفن والشعر والثقافة الرفيعة بجميع ألوانها مكانة ثانوية فى الحياة الأمريكية . وإذا حدث فنجحت مسرحية أو راج كتاب أو نبوأ مثقف مكانة مرموقة فذلك لايكون إلا لأن انتاجه كان انتاجاً ثانوياً بمعنى انه يتمشى مع « عامية الذهن وسطحية الفكرة وتسآمة الجد » التى هى من طبائع الحياة العملية التى لا سبيل إلى المجتمع الصناعى أن يتخلص منها أو أن يتغلب عليها إذا أراد ذلك .

وقد نجد من المفكرين فى أمريكا من يبرر عامية الانتاج وسطحيته بقوله « إن الثقافات والتراث القديم عالة على الأجيال الجديدة ، وإن القارات التى تتطلع بالتراث التقليد العريق قد تجد نفسها عاجزة عن قبول الفكر الجديد والتطور المفاجىء . فاذا افتقرت الثقافة الأمريكية المعاصرة إلى جمال العنصر الكلاسيكى التقليدى فان ذلك الافتقار هو من النعم التى حظى بها الأمريكان وحدهم ، إذ أنهم يتفادون بذلك تكرار الأخطاء التى ارتكبتها الثقافات الأخرى فى تطلعها إلى الأدب والفن الكلاسيكي تستمد منه الوحى والإلهام »

وهذه النظرية البرجماتزمية تبدأ من حيث اعتقدت بأن الحياة قد بدأت فقط منذ اخترع البخار والكهرباء والطاقة الذرية ، فهى إذن استنتاج مبنى على خطأ . ووجه الخطأ أن الحياة قديمة قدم آدم ، وأن الثورة الصناعية لم تسهل حياة انسانية جديدة وإنما أدخلت على هذه الحياة عقداً نفسانية ومشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية أضيفت إلى العقد التى عاش بها الإنسان فى المجتمع الكلاسيكى . فبدل أن يبدأ الفكر الأمريكى فيعالج مشاكل النفس الجوهرية على النحو الذى عالجه فلاسفة الأغريق وحكماء الشرق وأنبياؤه — بدل أن يبدأ الفكر الأمريكى فى معالجة الجوهر اتجه يعالج القشرة السطحية من العقد والمشاكل والمسرة والبؤس التى أضافتها « الثورة الصناعية » إلى حياة الفرد والمجتمع . والبدء فى تجميل البشرة وتطرية الجلد قبل تطهير النفس والروح هو الطابع الذى يحمله الانتاج الأدبى والفنى فى العالم الجديد .

فهم الحضارة الأمريكية أن توفر الغذاء والمسكن ووسائل الراحة المادية للفرد قبل أن توفر له الطمأنينة الروحية . ولو أن الضائقات الاقتصادية والأزمات السياسية العنيفة والمصائب والبلايا التى حلت بالشرق يصمد لها وجلد فى صراعه لها — لو أن هذه الضائقات والأزمات والبلايا قد حلت بامريكا لفقد أهلها الجلد ولعجزوا عن مواجهة الحياة . فليس لديهم مناعة وطمأنينة روحانية تصمد للنوائب . والشواهد عديدة على تفكك هرى المجتمع الأمريكى ابان الضائقة الاقتصادية العابرة التى مرت بها أمريكا فى أعوام ١٩٢٩ — ١٩٣٣ فلقد عم الفساد وانطمست كثير من أوجه الفضيلة وشاع فى الناس القنوط والتمسوا الرخاء والقناعة فلم توفر لهم فلسفتهم البرجماتزمية وراحو ينتحرون بالمئات . والواقع أن نسبة الانتحار بين البروتستانت الأمريكان هى أعلى نسبة بين المجموعات الانسانية الأخرى كما شرح ذلك (اميل فى دير كهايم) دراسته المعروفة عن الانتحار[1] .

والثقافة البرجماتزمية فى اصرارها على النواحى المادية فى السلوك والحياة الانسانية لا تختلف كثيراً عن الفلسفة الماركسية وتفسيرها المادى للتاريخ وسعيها لبيع الآخرة بالدنيا .

وأدب وفن وثقافة وحضارة هذا عنصرها الجوهرى هى ثقافة راحة وترف لا يعنيها توجيه النفس توجيهاً ثقافياً أصيلاً بقدر

---

[1] Emil Durkheim . Suicide

راجع

Dorfman the Economic Min in American Civilization'

ما يعنيها توفير المتعة واشباع الغريزة واللعب بالعواطف وإثارتها واصطناع اللذة . وليس لنا أن نستعرض هنا حسنات ثقافة الترف والمتعة والغريزة أو سيئاتها فى التكافل الاجتماعى فى الحضارات الصناعية ، فشا كل العائلة والصراع الطائفى والعنصرى من نتائجها . ومن نتائجها كذلك القلق الاقتصادى وفقدان الطمأنينة السياسية وما يستتبع ذلك من توسع استعمارى وحروب وويلات صبغت تاريخ الغرب بالدم والنار ، وهو اليوم يدفع الانسانية إلى المحو والدمار بالقنابل الذرية والهيدروجينية .

ولكن الذى يعنينا أن الثقافة الصناعية المادية أمريكية كانت أم ماركسية ابتدأت — خطأ أو صوابا — من حيث اختارت البدء . ونحن فى العالم العربى ورثنا حضارة لا يمكن أن توصف بأنها صناعية مادية . واتجاهنا الآن إلى التصنيع والانماش الاقتصادى لا يبرر مطلقا التقليد الأعمى والمحاكاة الضالة وتجاهل المقومات التقليدية الأصيلة المتأصلة فينا والتى ورثناها عن ثقافتنا الكلاسيكية بما فيها من النزعات الروحانية والخلق القوى والاتجاهات العاطفية والصلات الاجتماعية والمشاعر والاحساسات الخاصة بنا والتى نتميز بها عن غيرنا من الأمم . وحتى لو تعمدنا تجاهل هذه المقومات لما استطعنا والا كنا أشبه بالديك الذى تعمد تقليد مشية الطاووس فلم يكن له من تكوينه الطبيعى عون على المحاكاة التامة فنسى مشيته وفقد نفسه وأصبح مدعاة إلى السخرية :

فطبيعة المجتمع العربى ليست كطبيعة المجتمع الأمريكى أو السوفييتى أو الفرنسى . فهناك اختلاف جوهرى فى التطور التاريخى والصناعى وفى العواطف والاحساسات والمشاعر . وسبب هذا التباين مستمد من العوامل البيولوجية ، من الوراثة والبيئة والتفاوت فى مستوى التطور .

فتغذية القارىء العربى بالانتاج الثقافى « الخام » أمريكيا كان أم فرنسيا أم روسيا مخالف لسنن الطبيعة فوق مخالفته للمنطق السليم والمصلحة القومية .

ومشاكلنا الاجتماعية تختلف ، ولذاتنا وآلامنا ومستقبلنا الثقافى والسياسى والاجتماعى تختلف عن مثيلاتها فى الثقافات الأخرى .

ولقد وجدنا أن الثقافة الأمريكية قد تحكمت فى الزمان والمكان حين وضعت دعائمها وأسسها ومقوماتها واتجاهاتها البرجوازمية . ومثل ذلك ينطبق على الثقافة السوفيتية الماركسية التى تذرعت بالديكتاتورية لتتحكم فى الأوضاع والزمان والمكان.

فترك ميدان الفكر فى العالم العربى فى أيدى المغرورين من الديوك التى تحاول تقليد الطاووس الأمريكى أو الدب الروسى جريمة . والنتائج المترتبة على هذا الوضع لن تظهر عواقبها السيئة إلا بعد مضى فترة غير قصيرة من الزمن . والزمن فى حياة الأمم لا يقدر بالشهور والسنوات .

فلئن علت أصوات الانكار لهذه التيارات من أدب اللذة والمجون « وعامية الذهن وسطحية الفكرة وسآمة الجد » فلأن الثقافة العربية حساسة لا تزال فى جوهرها أصيلة وعريقة . ولقد شعرت بالتحدى قبل أن يستفحل خطره ولمست الشىء قبل أن ترسخ أسسه .

فدفاع المثقفين عن سلامة المقومات الأصيلة للثقافة العربية مستمد من عراقة هذه الثقافة ومتانة هذه المقومات واستقلال العقلية العربية ونفورها من أن لا تعيش على قدم المساواة مع الثقافات الانسانية الأصيلة . وكلما تحمس المدافعون عن أصول هذه الثقافة ونقلوا حماسهم إلى المجالس العامة ازدادت مناعة تلك المجالس ضد الانسياق مع أدب الترف والمتعة والانحطاط من الغرائز والشهوات .

ويخيل إلى أن المثقفين فى العالم العربى قد استشعروا منذ زمن هذا التحدى لثقافتهم . فالكتب التى أنتجها أمثال أحمد أمين والعقاد وهيكل وطه حسين وعبد الرازق والزيات وغيرهم من الكتاب عن الثقافة الاسلامية والأدب العربى — وهذا التراث الكلاسيكى الذى أخذ يحييه الباحثون والمصنفون من خزائن الثقافة العربية القديمة ، وتشعب برامج التعليم فى الجامعات ومعاهد العلم العالية لتشمل المواضيع العربية الأصيلة ، وصمود الحياة الدينية وقيامها بوظيفتها التقليدية فى عالم تهب عليه تيارات اللذة والمجون كل ذلك — على ضآلته — اجابة لهذا التحدى الذى تواجهه الثقافة العربية ، وهو خطوات فى الطريق الصواب .

ذكرى عالم مصلح

محمد رشيد رضا

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى

في أواخر العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجرى وفد على مصر رجل عظيم ، ومصلح كبير ، هو السيد جمال الدين الأفغانى . وسرعان ما التف حوله عدد كبير من رجالات مصر وشبابها على اختلاف درجات ذكائهم وتباين ثقافاتهم ، فصار ينفخ فيهم من روح اليقظة والحمية الإسلامية ، والعزة والكرامة ما فتح عيونا عميا ، وآذانا صما ، مما اعتبره الباحثون عود ثقاب أشعل به ناراً على المستعمرين والظالمين .

وكان من بين رواد مجالسه الطالب النابه الشيخ محمد عبده الأزهرى ، فلم يكد يتصل بالسيد جمال الدين حتى ألهب منه استعداداً للثورة على القديم البالى ، وأيقظ فيه طموحاً إلى الحرية والاستقلال ، فأطلق عقله من عقال كاد يقضى عليه كما قضى على كثيرين من رجالات الأزهر وشبابه الذين لم تتح لهم فرصة الاتصال بمثل هـذا المصلح الكبير ، أو لم يهيئهم استعدادهم للانتفاع بهذه المبادىء السامية .

لازم الشيخ محمد عبده هذا الرجل العظيم ثمانى سنوات كاملة (وهى المدة التى أقامها السيد جمال الدين فى مصر) إلى أن غادر البلاد سنة ١٢٩٦ هجرية إلى الهند ، وأخذ يطوف فى العالم مطارداً من قطر إلى قطر حتى استقر به المقام فى الآستانة حيث وافته منيته سنة ١٣١٤ هجرية .

وكان لتعاليم الأستاذ السيد جمال الدين الأثر الكبير فى نفس الشيخ محمد عبده فلم تهدأ ثورته ، ولم يخفه نفى أستاذه ، بل أذكى فيه روح الثورة والخروج على كل مبدإ ظالم إلى أن نفى هو أيضاً . وبعد مضى ست سنوات عليه منفياً رجع إلى مصر .

وكان بعد رجوعه من منفاه أشد ثورة من ذى قبل ، فأخذ يؤدى رسالة إصلاحه فى الأزهر ، وفى خارج الأزهر بجرأة وشجاعة ، أزكاها النفى والتشريد ، وكان أوسع ميادين جهاده دروسه التى كان يلقيها فى الأزهر على كبار الطلاب والنابهين من رجالات مصر الذين أشربوا حب الحرية والاستقلال .

فى هذا الوقت ، فى سنة ١٣١٥ وفد على مصر شاب لبنانى من (القلمون) إحدى قرى جبال لبنان الواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط من شريفة ، وكانت سنه إذ ذاك نحواً من ثلاث وثلاثين سنة ، هذا الشاب هو السيد محمد رشيد رضا .

نزح هذا الشاب إلى مصر بعد أن حصل على قسط كبير من التعليم فى بلده على يد بعض العلماء الأحرار المفكرين الذين اتصلوا بالسيد جمال الدين الأفغانى ، وتفهموا شيئاً من مبادئه .

جاء إلى مصر كما يجىء كثير غيره من أبناء الأقطار الإسلامية للافادة من الأزهر الذى ورث سمعة كبيرة فى العالم الشرقى ، ولما اتصل هذا الشاب بعلماء الأزهر وتفقدهم لم يعم عليه الأمر كما عمى على كثير غيره ، ولم يتحير أو ينحرف عن الهدف ، ولم يطل به المقام حتى أدرك بنور بصيرته ، وثاقب فكره ، وطيب استعداده أن الشيخ محمداً عبده هو الضالة المنشودة ، وأنه العالم المصلح الوحيد الذى يمكن الاستفادة منه ، فعكف على ملازمته ، وشغف بالسماع منه ، فى الدرس وفى غير الدرس ، فى المسجد وغير المسجد .

وبالرغم من كثرة المستمعين للشيخ محمد عبده ، وتفاوت درجاتهم فى الذكاء والتحصيل ، فإن أحداً منهم لم تعمل فيه آثار الشيخ أقوى مما عملت فى السيد محمد رشيد رضا ، فكانوا على ضروب وأنواع كما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الخبارى

حق أن يزداد حفظة الثقافة العربية إدراكا لخطورة هـذا التحدى لتزداد أصواتهم حدة فلا تقتصر على الخاصة وانما نجد صداها فى المجتمع العام وفى الدوائر المسؤولة فلعلها تجد العناية التى يبدو أن حفظة الدين من علماء الأزهر ورجال الشرع الشريف والأدباء الروحانيين مستطيعون تحقيقها فى تحديهم لموجات اللذة والمجون وألوان المتعة واللذة المستوردة المصطنعة ، فدفاع حفظة الدين هو جزء من الدفاع الجماعى عن أسس الثقافة العربية .

عمر عليوه

جامعة كولومبيا - نيويورك

عن أبي موسى الأشعري، قال صلى الله عليه وسلم: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب (١) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان (٢) لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ... الخ»

كذلك كان تلاميذ الأستاذ الشيخ محمد عبده. منهم من لم ينفع غيره ولم ينتفع في نفسه، لأنه مجدب الطبع، سبخ التربة، ومنهم من نفع غيره فنقل مبادىء الشيخ لغيره وإن كان هو لم ينتفع بها أو قل انتفاعه، ومنهم من انتفع في نفسه وعم نفعه غيره. فكان كالأرض الخصبة التي شربت من الماء وأنبتت الزرع فأفادت الناس.

والسيد محمد رشيد كان من هذا النوع الأخير، فقد حرص على أن يسجل آراء أستاذه التي يلقيها على الطلاب في الدرس، والتي تصدر عنه في المجتمعات، والتي يراسل بها أصحابه، أو يرد بها على مستفتيه في أمور الدين والدولة حتى صار شيبها بشريط تسجيل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة لأستاذه إلا أحصاها.

ومع عظيم عناء هذا العمل الجليل الذي سجله السيد رشيد، والذي لولاه لذهبت آثار الشيخ عبده، وتبخرت أفكاره كما ذهب مع الريح كثير من آثار غيره من كبار علماء الأزهر، نقول مع هذا: إن هذا التلميذ لم يكن مسجلا لأفكار شيخه فحسب، بل كان مع ذلك مناقشاً ومحمصا وموجهاً كما هو الشأن في التلميذ الذي كانت تعده العناية ليقوم برسالة شيخه بعد موته، وليكون امتداداً لحياته ووصياً على تركته الخالدة.

قال السيد رشيد يتحدث عن نفسه.

«إني طلبت العلم بوازع من نفسي لتكميلها بالمعرفة والعمل لا لأجل الانتفاع في تحصيل مال أو جاه، وقد عرض علي الدخول في الحكومة أصحاب النفوذ فيها فأبيت». وذكر في موضع آخر سبب ذلك فقال:

«أحمد الله أن حفظني من الابتلاء بالمناصب، ومن الامتحان بخدمة الحكومات، ومن فتنة حب المال والجاه، فإن أهون رزايا كل من هذه الفتن أن تصد عن قول الحق وتغري بالسكوت على شيء من الباطل، وقد تبلغ بالمفتون أن يخذل الحق وينصر الباطل، ويوالي الظالمين، ويحارب المصلحين، وأن يبيع دينه بدنياه، بل قد يبيع دينه بدنيا غيره».

لكل ذلك مكث مدة عمره الطويل ثابتاً في الدعوة إلى الله على بصيرة، وإلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، بتفسير كتاب الله على طريقة السلف الأول، وإحياء سنة رسوله، وسيرة السلف الصالح. وهو في كل ذلك لم يعتمد على ملك ولا حكومة، أو جمعية، أو حزب، بل كان في كل أولئك ليس معه معين إلا الله، يكتب ويراجع ويحقق ويصحح ويتفقد الصحف والمجلات المحلية والخارجية، ويتصفحها كل يوم فاذا وجد ما لا يصح السكوت عليه بادر بالرد عليه في المنار أو الصحف الكبيرة، كالأهرام. والمؤيد. والمقطم. واللواء.

كل ذلك كان يقوم به وحده. فحقا إن السيد محمدا رشيداً كان أمة، ولعلك تدهش إذا علمت أن كل هذه الأشياء من إخراج المنار باتقان ومثابرة بضعة وثلاثين عاما، وغير ذلك مما تقدم من صنع رجل واحد، فإنه عند ما جاور ربه حاولت هيئات كبيرة وجماعات محترمة أن تخرج للناس مجلة تسد فراغ المنار فلم يستطع أحد منهم على كثرتهم.

وإذا علم أيضا أن العقبات التي طالما وقفت في طريق المصلحين وهي كثيرة. من عبودية الناس لما يألفون، ومن حب الشهوات الذي يغري المترفين بالراحة والدعة، والصد عن المصلح. — وكثرة الجماهير دائماً جاهلة تجري وراء صاحب المال أو السلطان — إذا علم أن كل أولئك صادفت السيد رشيداً، علم أنه كان يحارب وحده في ميادين كثيرة، يحارب قوماً قعد بهم استعدادهم عن اللحاق به، فصاروا بتأثير الغيرة والحقد لا يألون جهداً في محاربته. وأقوى أسلحتهم التي يبرزونها إذا عجزوا عن الحجة هي الرمي بالزندقة والإلحاد، وهي قذائف لا تكلف صغير

(١) الأرض الصلبة
(٢) أي مستوية

النفس فاقد الحياء إلا أن رسلها من فمه فتتلقفها آذان العوام فينصرفوا من حول الداعية .

وهذا سلاح قديم حورب به الأنبياء والمصلحون . ألم يقل ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذي ، وقد ذاق البخاري والغزالي ، وابن خلدون ، وابن تيمية ، وغيرهم مرارة ذلك ولكن كانت العاقبة للمتقين .

فخلد الله لهم لسان صدق في الآخرين ، وأهال على خصومهم تراب النسيان . وكان السيد رشيد يحارب أيضا في ميادين أخرى ، زنادقة وملحدين ، وجهلة مخرفين ، وعلماء جامدين مقلدين ، وسلاطين جائرين ، وحاكمين ظالمين .

حارب كل هؤلاء في ميادين فسيحة ، كان أفسحها مجلة المنار التي اتخذ منها منبراً عالياً يدوي منه صوته في جميع بقاع الأرض ، في جاوة ، وسومطره ، والهند ، والصين شرقاً ، إلى أوربا وأمريكا غرباً ، فلم تبق في الأرض بقعة فيها مسلم أو من يعرف العربية إلا دخلها المنار . فكان المنار مدرسة تتلمذ فيها عدد كبير من المسلمين ونبغ بفضلها رجال مصلحون ظهرت آثارهم في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، وبرز منهم في الصفوف الأولى رجال عظماء لهم في حركات الاستقلال الأخيرة في الأمم الشرقية مواقف مشهورة .

والذي يتتبع تاريخ هذا العالم الجليل يقف على سر نجاحه فيما عالج من أمور ، ذلك أنه كان يحمل بين جنبيه قلباً قوياً ، وعزيمة صادقة ، وإيماناً لا يتزعزع ، ووراء كل ذلك رغبة شديدة في إتقان ما هو بصدده .

والرغبة الصادقة هي سبب كل النجاح ، لأنها الحافز على مواصلة العمل ، والشعور باللذة فيه ، والجد في إتقانه حتى يرضى بذلك نفسه .

ولما كان الحديث عن السيد رشيد لا يتسع له هذا المقام الضيق ، فإني تارك الافاضة فيه للكتب التي تعرضت لأعماله وهي كثيرة موسعة .

واكتفي اليوم بذكر حادثة واحدة وقعت لي أنا شخصياً ومعي ثلاثة من كبار علماء الأزهر ؛ ذلك أنه في أصيل يوم من عام ١٩٢٤ ميلادياً زارني بالمنزل ثلاثة من علماء الأزهر ، توفي اثنان منهم إلى رحمة الله ، وبقي واحد ؛ وبعد قليل خرجنا أربعتنا نسير نحو السيدة زينب ، وبينما نحن في الطريق ذكر أحدهم حديثاً نبوياً فقال آخر أظن أن هذا ليس حديثاً ، ولم يستطع الأول أن يثبته ، وكنا وقتئذ قاربنا ميدان السيدة .

ولما كنت أعلم أن كثيراً من علماء الأزهر في ذلك الحين ، خصوصا الكبار منهم ، كانوا يحيطون السيد رشيداً بهالة من الشك في تدينه وعلمه ، رغم أنهم لم يجالسوه أو يختبروا علمه أو حتى يكلفوا أنفسهم قراءة كتبه ، أردت أن أحتال عليهم حتى يلتقي الجمعان ، وكانت مكتبة المنار ومطبعتها بجوار المسيدة زينب ، وكان لي بالسيد صلة معرفة ، فقلت لهم : يمكنني الآن أن أعرف لكم هذا الكلام أهو حديث أم لا ؟ فتعالوا معي إلى مكتبة قريبة منا ، وكانوا لا يعرفون أنها للمنار . فلما دخلنا من الباب الكبير أسرعت لصبي من الخدم : هل السيد موجود بالمكتب ؟ قال نعم . فقلت له : استأذن لجماعة من علماء الأزهر . فرجع بحمل الإذن . فصعدنا للدور الذي فيه السيد ، غرفة مكتب واسعة ، محاطة جدرانها بالكتب المنضدة في خزائنها بترتيب بديع . وهو رحمه الله رابض على مكتب كبير يرتدي عباءة حجازية على قباء أبيض . فقابلنا هشاً مرحباً . وقدم التحية ، فعرفوا عندئذ أنه رشيد رضا ، فسكت لحظة حتى إذا أنس أصحابي نوعاً ما عرضت عليه الموضوع ، فكان في لمح البصر جوابه : إن هذا حديث صحيح رواه البخاري في بين ، باب كذا عن فلان ، وباب كذا عن فلان ، ورواه مسلم في باب كذا عن فلان بتغيير يسير هو كذا .

فلما خفت أن يخرجوا مرتابين في صحة ما يقول : تلطفت في سؤاله أن يعطينا الأجزاء والصفحات لنقرأ ألفاظ الحديث ونفهمها على مهل ، فكان بالسرعة الأولى واضعاً الأجزاء بين أيدينا كأن الأحاديث كانت في طبق أمامه يلتقط منها ما يريد ، فقرأنا الحديث في كل باب وإذا به كما قال ! فوجموا ونظر بعضهم إلى بعض ، وكان المغرب قد حلت صلاته فدعا بحصير للصلاة ، وعزم عليهم ليتقدم أحدهم إماماً ، فرجوته أن يصلي هو فأمنا ، ووالله لا زلت أذكر وأتلذذ بتلك الصلاة وتلك القراءة ، قرأ بخشوع وخضوع

فبكى وأبكانا . ولما فرغت الصلاة خرجنا من عنده وكأنما على رءوسنا الطير .

وبعد أن سرنا فى الطريق إلى منازلنا قلت لهم : ماذا رأيتم اليوم ؟ قال أحدهم رحمه الله : ما هكذا كنا نسمع عن الرجل ، كنا نسمع غير ما رأينا ، فإذا هو مسلم صالح . فقلت وما رأيكم فى علمه ؟ فسارع أحدهم وهو الذى على قيد الحياة الآن قائلا : وأى فضل له فى هذا وهو منقطع لهذا العمل نحو ثلاثين عاما ؟ فقلت ولأى شىء منقطع أنت والدولة تدر عليك من المال ما يكفيك ويكفى من تعول ، لتتفرغ لمثل ما تفرغ له هذا الرجل الذى لا يساعده أحد بفلس لينفقه على نفسه أو على عياله؟ فبهت الرجل

فرحمة الله عليك يا سيد رشيد ، حفظت كتاب الله وحافظت عليه ، وشغلت حياتك كلها فى خدمته . فكان جزاؤك فى الدنيا أنك لم تفارقها إلا وكتاب الله بين يديك وتحت ناظريك تقرأ فيه كلام ربك ، وفاضت روحك وهو على صدرك . ألم يكن من علامات قبولك ورضا ربك عنك أن آخر آية من كتاب الله سطرت شرحها بخطك ، ولم تطبع إلا بعد موتك هى قوله تعالى :

« رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » .

فسلام الله عليك فى المسلمين الأولين . وسلامه عليك فى الصالحين المصلحين ؟

عبد الجليل عيسى

بمناسبة ترجمة مسرح الأزبكية

بناء المسارح الحقيقية

للاستاذ يوسف الخطاب

كان انصراف الممثلين فجأة عن المسرح واشتغالهم بالسينما وتحويل بعض المسارح إلى دور عرض سينمائية بغية الكسب المادى — من الظواهر الغريبة التى سجلها النقد الفنى فى السنوات الخمس الأخيرة . والمسرح — كأى فن — حين يفقد رجاله والإطار الذى يقدم من خلاله ، فإنه يفقد كل شىء ولا يعود له أمل إلا فى حركة قوية ترد الأمور إلى ما كانت عليه ، باعتبار أن ما لحقه طفرة غير طبيعية : ولهذا السبب لم يمض وقت طويل على هذه النقلة الفاجئة من المسرح إلى السينما إلا وقد امتلأت بالسينما نكسة أفسحت الطريق أمام المسرح وجعلت الأنظار تتجه اليه من جديد والجهود تبذل للنهوض به . فأنشىء المعهد العالى لفن التمثيل لتخريج فنانين يمثلون على خشبة المسرح ونقاد ومؤلفين يخدمونه بأقلامهم . وبحث هذا الجيل الجديد عن مجال مسرحى يصرفون فيه نتاجهم الفنى فلم يجدوا أمامهم من دور المسرح سوى دار الأوبرا ومسرح الأزبكية . والدار الأولى — كما يدل اسمها — لا تصلح إلا لنوع معين من التمثيليات هو الأوبرا أو الأوبريت ، والمسرح الثانى لم تقدم عليه حتى اليوم مسرحية ذات قيمة من الوجهة الفنية لعجز وسائله عن تقديم مسرحية كاملة؛ والمسرحان بوجه عام لا يتناسبان وطبيعة الفن الحديث . ومن هنا كان لابد — وقد عاد للمسرح الفنان الذى افتقده ، وتوفر له جيل جديد من الممثلين — أن نرى عكس ما حدث أثناء الحرب ، فأخذت دور السينما تتحول إلى مسارح وفتحت أبوابها لهذا الفنان الجديد .

وكنا نظن أن هذا الجيل سيثبت وجوده المتميز عن وجود غيره ، ويشعر المسئولين أنه نوع آخر ممتاز ويدفعهم إلى ايجاد مسارح جديدة ، تمكنه من تحقيق فنه ، حسب الاتجاهات الفنية المعاصرة — خاصة وأن هناك تباشير ميل إلى تعديل بناء المسارح القائمة أو هدمها وبناء مسارح جديدة . لا أن يقف عند هذه المسارح غير الحقيقة والتى لا تحمل من سمات المسرح سوى الأسم المجرد فحسب . ولنضرب مثلا بأكبرها (دار الأوبرا) فهى لا تعدو أن تكون بهوا مستطيلا فى نهايته ممثل ضيق وعلى جانبه شرفات متراكمة فوق بعضها؛ وسواء جلست فى البهو أو فى احدى الشرفات ، فأنت حتما متجه ببصرك إلى الممثل وما سيجرى فوقه ، دون احساس بالجماعة التى أنت فرد منها ؛ والتى أنت جالس بينها وستخرج بعد قليل لتنضم إليها وتعيش فى كنفها . هذا هو المسرح الذى نفخر به . مسرح مغلق حينما تجلس فيه تصاب باستغلاق فكرى ونفس ، يحولان دون كمال استمتاعك بما يمثل

فيه من مسرحيات . وقل هذا عن بقية مسارحنا لأنها صورة مصغرة منه .

ونحن حين نطالب بتغيير هذه المسارح المغلقة بأخرى مفتوحة نريد مسارح حقيقية ليس فيها مظاهر الاستقلال البادية في المسارح القائمة الآن . وإذا كنا نربط بين ضرورة إجراء هذا التغيير وبين اتجاهات هذا الجيل الجديد من الممثلين ، فليس معنى هذا أنه لم يكن عندنا ممثلون من قبل وإلا كنا كمن يجافي الحقيقة ويتجنى على بعض أعلام التمثيل الذين تستطيع مصر أن تفاخر بهم كبريات الفرق المسرحية . ولكنا نؤمن بأن ما قلناه ظاهرة تنطق بها الفترة التي تمر بها من هذا العصر الحديث . وإذا التمسنا تفسيرا لهذه الظاهرة فلن نجده في المسرح وحده أو ممثليه لأن المسرح لا يستطيع أن يفسر ظواهره بنفسه منعزلا عن العالم إلا اذا كان تفسير الشيء يأتي من داخله — وهذا مذهب في التفسير لا تثق كثيرا فيمن يتبعونه ؛ لأن أصحابه مصابون بضيق في الأفق ، وسطحية في النظر وحصر في الفكر . ومادام المسرح نشاطا انسانيا خلاقا ، وأنه للحياة قبل أن يكون لنفسه ؛ ومادامت الحياة التي تلون كل نشاط انساني تتشكل — وتشكل معها كل نشاط — بروح العصر السائد ، فإن طبيعة البحث تقتضينا أن نلتمس هذه الروح التي جعلت البعض ينادي بتعديل المسارح وأملت علينا ضرورة المناداة بتغييرها وتحويلها إلى مسارح حقيقية ، ولن نجد هذا التفسير الا في ثورة العصر الحديث على ما نسميه من مظاهر الاستغلاق في المسارح القائمة . ويرجع أصل هذه الظاهرة إلى الانطواء النفسي والاجتماعي الذي كنا وكانت فنوننا مصابة به . ولقد جعلها هذا الانطواء فنونا مغلقة من الناحيتين النفسية والاجتماعية — مثل مبدعيها — تقف ضد كل أسلوب جديد ، وتتوهم أن كل شيء خارجي دخيل عليها فتكتفي بما هي عليه دون تطلع إلى مستقبل أو تطور . فيصيبها الانطواء بالركود والتعفن ويكاد يتهددها بالفناء لعدم احساسها بالحياة وبعدها عن العالم الخارجي الكبير . ولعل هذا هو السبب الذي يلتمسه نقاد الفن والأدب الغربيين عند بحثهم في أسباب تقطع الصلة بين الفن والحياة ، وعدم قدرته على تحقيق الوظيفة الاجتماعية التي هو مطالب بها . بل لعل هذا هو السبب في المحسنات اللفظية في الأدب وعناصر التطريب في الموسيقى ، والمبالغة في الألوان في الرسم ، والمغالاة في التمثيل على المسرح حتى أصبح الجمهور المتلقي لهذه الفنون والآداب واحدا من اثنين . فريق قليل يفهم فلا يطرب ، وأغلبية طاغية يطرب لما لا يفهم . أما الفريق الأول فيدرك أنه أمام أدب أو فن مغلق فقد شكله ومضمونه ؛ الحقيقي أما الجمهور الذي يطرب فلانه يتناسب مع البهرج فلا يلبث أن ينغلق ويتحدر .

هذه هي الظاهرة التي شملت كل مرافق الحياة والفن ، نجدها متمثلة تماما في المسرح باعتبار أنه أقرب الفنون إلى الحياة وأسرعها تأثرا بأساليبها ، ونجدها على الأخص في بناء المسرح المتجمد الذي لا تنفذ الحياة إلى داخله ، ويجمد من يجلس أمامه .

ويبدو أن المسألة لا يمكن ايضاحها إلا بإيراد عرض تاريخي لطراز المسرح ؛ لنعرف تقدم مسارحنا أو تأخرها عنها . ومن المعروف أن أول مسرح كان منصة مرتفعة يتجمع الناس حولها في دائرة كاملة تمكن كل انسان من رؤية التمثيل من خلال من حوله ، ويشعره بوجود الجماعة المستمر . ثم تغيرت الطراز بعد ذلك حين جاء دور البناء ولم يستطع التحكم في طبيعة الأرض التي تقام عليها المسارح . فأقيم المسرح اليوناني مثلا في بطون الجبال ورغم تعذر تحقيق الدائرة المسرحية فإنه ظل نصف دائرة ولم يفقد المشاهدين الشعور الجماعي . وكانت هذه المسارح رغم بدائيتها سليمة ، وسلامتها راجعة إلى أنها كانت بنت النفس البشرية الأولى التي لم تلحقها تعقيدات الحضارة الملتوية — كما حدث بعد ذلك . ولقد وضح التواء هذه الحضارات فيما ألحقته بالفن من شوائب أفسدته حين بنت المسارح على أنها سجون للفن : دور مغلقة لها أول ولها نهاية ، يحدان من انطلاق البصر ، وانسراح الفكر ويفسدان على الفن المسرحي طبيعته الحرة ، واستهدافه الانتشار بغية تفتيق جوانب حياتنا وتوسيعها .

ولكم ارتفعت صوتنا بضرورة تخليص المسرح من هذا الانغلاق ؛ ومعالجة الانسان المريض بالانطواء المرير . وقد ظن المسئولون أننا نبغي بذلك المسارح المكشوفة فقدموا الينا المسرح الصيفي . والواقع أنه جاء خالصا من بعض مظاهر الانطوائية — بعد أن تخلصت نفوس الشرفين عليه من بعض ما تنطوي عليه

ـ ولـكن بقيت له أكثر مظاهر الانطواء الوجودة فى المسارح المغلقة ، غـير الحقيقية . فبناء الممثل الضيق ظل بعيدا فى نهـاية المسرح ، معزولا عن المشاهدين . وحال مابه من ضيق وعزلة دون انطلاق حركة التعبير . ولا نغالى إذا قلنا إن الحال ظلت كما كانت عليه فى المسارح المغلقة . لأن الضيق والعزلة أشياء تضيق بها النفس ، وتفقدها الشعور بالحياة التى تتطلب الانطلاق التام وانعدام الحدود .

وقد يقال إن هـذا الأمر لايحسه إلا من جلس بعيدا عن المسرح ، وإن علاجه فى القرب من الممثل . ولقد جربت هـذا فـكانت المنصة العالية تحول دون الاستمتاع الـكامل بما يجرى فوقها لأنها تتعالى عن الجمهور . وأقسم أنى كنت أشعر بأقدام الممثلين تروح وتجىء فوق رأسى بمجرد رفع الستار وبدء الرواية

ولو أضفنا هذا الستار إلى ضيق الممثل لا كتملت لنا مظاهر الانطوائية لأنه يشعرنا ببقاء الحائط الرابع الذى لايبدأ العرض الحقيق إلا بزواله . وفى بقائه إيحاء بأن المسرح صندوق أسرار كبير إن باح ببعضها ، أمسك بالجانب الأكبر منها . وهـذه السرية المعرضة تتنافس و كيان المسرح باعتباره فنا من فنون العرض يهدف إلى تجسيم الأشياء التى تجرى فوق الممثل بشكل لايتأتى إلا إذا كشف كل جوانبها . ولقد هدمت نظرية الحائط الرابع مع هدم المسارح القديمة فى القرن التاسع عشر . ومن المؤكد أن المسارح المفتوحة أو المنتشرة لم تكن لتظهر إلى الوجود قبل مناقشة نظرية الحائط الرابع هذه ومؤداها أن المسارح ـ قبل مجىء الطبيعيين naturalistes كانت مثل مسارحنا : مسارح مغلقة على نفسها تريد اغلاق جمهور المشاهدين معها . فالممثلون فى جهة والمشاهدون أن يتصلوا بالجمهور حالت دونهم المنصة المرتفعة وقد مج المشاهدون هذا الانفصال فـكانوا لايذهبون إلى المسرح إلا لمجرد تمضية وقت يتحدثون فيما بينهم أو يغازلون الممثلات ـ كما يحدث عندنا.

وهكذا كان حال المسرح ـ بعد المسرح الاغريقى السليم حتى مجىء أصدقائنا الطبيعيين وعلى رأسهم أنطوان الذى تبلورت فيه ثورة الناس على هذه الأوضاع السخيفة ورأى أن العلاج يتمثل فى أن يشعر الجمهور بأنه ليس فى مسرح بل أمام حياة فقضى على الفـكرة القديمة — السائدة فى مسارحنا — من ضرورة إبقاء الجمهور فى الظلام لجذب انتباهه بطريقة مفتعلة إلى مايجرى فوق المسرح . أو تقديم مناظر مغرية تأخذ عليه وتحافظ على جذب انتباهه حتى أن (سترندبرج) المسرحى النرويجى الـكبير يرجع تقسيم المسرحية إلى فصول إلى هذا السبب ويقول إن الاستراحات تقدم حتى يتخلص المشاهد من تأثير التنويم المغناطيسى الذى يصاب به أثناء مشاهدة المسرحية وأعطائه فرصة للتفـكير وتدبر ما شاهد .

وكما كان لهذا الأمر تأثيره على المشاهد والمؤلف فقد كان تأثيره كبيرا على الممثل؛ فهو لايؤدى الأدوار كما لو كان فى الحياة بل انه لايعترف بهذه الحقيقة فتراه لايتابع الجمهور ، أو يستجيب لتأثراته لأن هناك فاصلا قائما بينهما، ولا يدرك أن مقدمة المسرح يجب أن تصبح حائطا شفافا أمام الجمهور ومنفذا يمر منه الممثل

أن الحائط الرابع « فرجة » يطل الانسان من خلالها على الحياة مصورة بشىء من الدقة؛ فلنوسعها ، ولنذهب بمقدمة المسرح حتى النهاية، ولنقدم مسرحا مستويا ، لنخرج الممثل من هذا الإطار ولنرد عليه وعلى المسرح ابعادهما الانسانية الثلاثة ، ولنقض على محاولة خلق الوهم والخداع ، ولنجعل الممثل ممثلا حقيقيا، ولنحل المسرحية المجددة مكان التصوير الجامد ، ولنخرج الممثل من قفص ولنجره من الاطار الفارغ الذى يتحرك فيه لمواقع الحياة .

ولن يتم لنا تخليص مسارحنا من كل هذا وإرسالها على طبيعتها إلا بهدم الحائط الرابع حتى لايحول دون إدراكنا لحقيقة مايدور ويرقم الممثل من طرف المسرح ـ ففى وجوده هناك أشعار ببعده عنا — وفى هذا البعد تحطيم للوحدة التى يجب أن تتم بينه وبينا، ثم يرفع الستار. فالمسارح الحديثة تتجنب الخفاء وكل مافيها مبذول للعين معروض أمام الجميع. ولو اكتمل لنا مثل هذا المسرح لقضينا على فـكرة المسارح المغلقة وقدمنا مكانها مسارح مفتوحة كالحياة . تجمع بين الفن والحياة — مسارح حقيقية، الممثل فيها ليس فى طرف المسرح بل فى وسطه، يتجمع الناس حوله فى حلقة تقضى على استطالة المسرح التى تحيل الناس إلى جموع متراصة ينظر كل فى ظهر الآخر دون أن يشعر بدبيب الحياة الذى يتراءى فى وجهه. والمسرح بهذا الشكل يصبح كلا واحدا : فهو حلقة مستديرة يمثل عليها ، خارجها حلقة تجمع المشاهدين . وهكذا سيضطر الممثلون

إلى الحركة يمينا ويسارا وخلفا وأماما ، وتقضي على فكرة الرسوخ والثبات المتسلطة على فنون المسرح عندنا وترد إلى المسرح عنصر الحركة التي تفتقدها في مسارحنا . وسيصبح التمثيل أكبر تعبيرا وأدق واقعية لأن الممثل سيدرك أن هناك من يراه من كل جانب فيحرص على جمال الوضع وتمام التعبير .

وسيكون لهذا المسرح الكلي تأثيره على تأليف المسرحية التي ستعرض فيه . فما دامت المسرحية متصلة بالمسرح فلا شك أن المسرح الكامل سيقدم لنا المسرحية الكاملة لا المسرحيات الزائفة التي تقدمها المسارح المغلقة التي تغلقها بطابعها ، وتحد من انطلاقها بالقيود التي تفرضها عليها .

وأخيرا . فإن هذا المسرح هو أكثر المسارح تناسبا مع طبيعة بلادنا . فما دمنا شعب زراعة مربوطين بالأرض نحتشد لكل مناسبة في حلقات فالواجب أن يكون مسرحنا شبيها بتلك الحلقات حتى يؤكد فينا غريزة الاجتماع ويجعلنا نتجاوز حدود نفوسنا ونتخطى النطاق الضيق الذي تحصرنا فيه مسارح اليوم المغلقة .

يوسف الخطاب

سبيل النقد الفني

للاستاذ ماجد فرحان سعيد

يعاني النقد عندنا أزمة حادة ترجع في الغالب إلى أن الكثيرين ممن يمارسونه حديثو العناية به أو يجهلون أصوله وخواصه . فلقد أصبح النقد عند فئة من الناس سواء أكان في مضمار الأدب أم الفن أم السياسة ضرباً من اللهو واللعب ، الغاية الأولى منه عند محترفيه اظهار عيوب الآخرين والفض من شأنهم لا لشيء إلا لأن حظهم من الثقافة يسير ، ولأن الله لم يؤتهم موهبة في الذوق أو سعة الاطلاع أو سداد المنطق أو صدق الشعور — وهي من أهم مقومات النقد — فجاءت احكامهم منحرفة . ولقد قرأت قبل مدة قصيرة مقالاً قيماً بالإنجليزية حول النقد وفوائده للكاتب الأديب نايجل بولشن Nigel Ballch'n ، عرض فيه بعض الآراء الطريفة التي تربط بين النقد والأثر المنقود عرضاً وافياً متزناً حداني إلى درسه وعرضه مع بعض التعليقات لعل ذلك يجلو بعض ما التبس علينا من أصول النقد وأحكامه وطرائقه

يشير الكاتب في مستهل موضوعه إلى أن النقد هو « الحكم على محاسن أي إنتاج من الفنون الجميلة أو مساوئه » . وسواء أكان الحكم صالحاً أم غير صالح ، فلا معدى لنا عن الإدلاء به ، لأن النقد كما يقول توماس إليوت Thomas Eliot ضروري كالتنفس لا غنى عنه للانسان .

ولئن كان النقد حكماً يصدر ، الا أنه ليس من المحتم أن يكون حكماً جائراً لاذعاً ؛ أقول هذا لأن بنا نزوعاً شديداً في هذه الأيام إلى إطلاق الكلمة كما لو كانت تعني البحث عن الأخطاء فحسب . ومع أن البحث عن الأخطاء من وظائف النقد المشروعة إلا أن البحث عن المحاسن وظيفة ثانية لا تقل أهميتها عنها .

ويصبح الناقد إذ يمارس مهمة التفتيش عن المحاسن والمساوىء حاكماً في وسعه أن يقول ما يشاء . ولكن هنالك نوعين من الحكام أولهما ذاك الذي يجلس إلى منصة القضاء ، يدين الناس بالعقوبات عند ما تثبت عليهم إحدى التهم . وأما النوع الثاني فهو الحكم الذي يتجول في معرض الزهور ، لم يتقاعس عن التنويه بها ومنح الجائزة لصاحبها .

والفنان عند ما يقدم للناس إنتاجه ، إنما يتمنى في نفسه لو كان هؤلاء النقاد من الفئة الثانية ، لأنه يكره أن يعامله الناقد معاملة الحاكم للمجرم ، وإنما يتوخى دائماً أن يقام وزن لإنتاجه فينوه بفضائله ومحاسنه .

وفكرة النقد تتطلب الاستناد إلى قواعد ثابتة ، نستطيع في ضوئها أن نتعرف بالشعر الجيد أو الصورة الحسنة أو الموسيقى الرائعة . والصعوبة الاتفاق على هذه القواعد — مقاييس الجودة والرداءة — تنشأ صعوبة النقد . فهنالك طائفة من الناس تقول أن ليس في استطاعة الناقد أن يصدر حكماً صحيحاً إلا إذا استند إلى قواعد موضوعة متوارثة مع الزمن . بينما تقضي طائفة ثانية بأن متطلبات النبوغ تفرض علينا تحطيم هذه القيود وعدم إخضاع الفن لقواعد معينة . ولهذه الفكرة التي تعتبر الفن فوق القيود

جاذبية ساحرة تستهوى نفراً من الناس يودون أن يصبحوا فنانين على حساب الفن دون أن يجهدوا نفوسهم بتعلمه إلى درجة الحذق والإتقان .

وتتصارع حول هذا الموضوع ذهنيتان، تنص أولاهما على أن الفن وسيلة لنقل شيء ما ؛ فى استطاعة الإنسان أن يصور أو يكتب ليرضى نزعاته الشخصية إذا شاء فحسب ، وما من قانون يحرم عليه ذلك . ولكنه متى عرض إنتاجه ، فإنه بذلك يحاول الاتصال بغيره من الناس لينقل إليهم خواطره أو شعوره أو أفكاره . فإذا عجز هؤلاء الناس عن فهم ما أراد إيصاله لهم ، كان ذلك دليلاً ساطعاً على إخفاقه فيما حاول . ولكن لنبين بصراحة وجلاء أن قيمة الإنتاج الفنى ليست حتماً فى تناسب طردى مع عدد الأشخاص الذين يستهويهم ذلك الإنتاج . فما هو المحك إذاً ؟ إنه الناقد الحق الذى يستحق حكمه الأخذ به . وهنا نعود من جديد إلى فكرة الأصول النقدية الثابتة .

أما الذهنية الثابتة فتصر على أن النقد الجيد أمر مستحيل ، لأنه ليس للفن من قواعد . وقد يسهل اعتناق هذه الفكرة والأخذ بها لو كان الفنان يعيش وإنتاجه كنوع من الظواهر الطبيعية فى فراغ تام . ولكنها فى الحقيقة ليسا كذلك . فالفنان، سواء أحب أم كره، خليفة لجميع المتعاطين الذين سبقوه فى ذلك المضمار ، وما إنتاجه سوى تتمة لإنتاجهم . وبحكم عدم استطاعته الإفلات من قيود الزمن ، فإن هذا الفنان يبدأ فى إنتاجه بخبرة الأجيال التى سبقته . ومهما حاول التنصل من ذلك ، فسيظل عاجزاً عن الابتداء بنقطة العدم . وأما الأصالة التى قد يدعيها ، فلا تعدو أن تكون فى أغلب الأحيان تحسيناً ضئيلاً أدخله على ذلك التراث الضخم المتوارث عمن سبقوه فى ذلك الفن . وفى ضوء هذا المعنى نستطيع أن نقول إن جميع الفنانين تقليديون . ولست أعنى بهذا أنهم مجرد مقلدين ؛ فإن جيمز جويس James Joyce مثلا فنان أصيل ، مع أن آثاره تتخللها بعض الصفات التقليدية لمن سبقه من الكتاب .

أما الناقد الجيد فهو الذى يملك حاسة للنقد مرهفة يستشير بوساطتها انحدار التقليد الفنى منذ نشأته . فبينما نجد الرسام مثلا يركز جميع قواه على اللوحة التى أمامه ، وعليها وحدها ، نرى الناقد عند ما يصوب عليها أشعة نقده ، لا ينظر إلى هذه اللوحة نفسها فحسب ، بل يعتبرها جزءاً من الظواهر الطبيعية الفنية جميعاً بين ما يقدمه الرسامون للناس من إنتاجهم كى يقيموا فيه موازنة عادلة . يقول المستر كلاتون بروك Clutton Brock : «ليست قواعد النقد قوانين يسنها البرلمان ، وإنما هى فى حقيقتها مجموعة أحكام الماضى » فمن شأن الناقد إذاً أن يلم بهذه الأحكام ، وأن يحكم على الفنان فى ضوئها . ولذلك يجب علينا أن نسلم هنا بضرورة وجود الناقد البارع وفوائده كشخص ينقل إلى الفنان تقاليد الماضى الذى هو أحد اجزائه ، ويذكره دائما بهذه التقاليد والأحكام ، فيستطيع آنئذ أن يتفادى الأخطاء التى تردى فيها سابقا .

ومن هنا تنشأ علاقة بنائية مفيدة بين الناقد والفنان . غير أن هذه العلاقة نفسها قد تكون هداية فى كثير من الأحيان ، وذلك عند ما ينظر الناقد إلى الفنان نظرة تهكم وتسفيه وازدراء . وسبب هذه النظرة السقيمة يرجع غالبا إلى الملابسات الواقعية التى تكتنف فيها أحكام الصحف الرائجة التى تجعل من المستحيل الإتيان بنقد جيد . ترى الناقد الفنى مثلا ينتقل بسرعة فائقة من معرض إلى آخر ، يحاول أن يضع فى خمسمئة كلمة حكماً على نتاج استغرق ثلاثة أو أربعة من الفنانين حولا كاملا . ثم ترى سيمة من الكتب تقدم إلى أحد النقاد دفعة واحدة ، ويطلب منه مراجعتها فيما لا يزيد على ستمئة كلمة خلال أسبوع من الزمن أو أقل . ومما لا شك فيه والحالة هذه أن ليس فى استطاعة أى إنسان — مهما بلغ علمه أو ذكاؤه أو إحساسه — أن يقوم بعمل كهذا على الوجه الصحيح ، إذ ليس من المعقول أن يفهم فى عشر دقائق فهماً صحيحاً إنتاجاً شغل شخصاً آخر يضارعه ذكاء واحساساً سنين من الجهد المتواصل . وهنا يشعر الناقد أنه لا يقوم بعمله على الوجه الصحيح ، فيكره هذا الوضع ويرذله ؛ والفنان بدوره ينقم منه ويزرى عليه ، لأنه تيقن أن الحكم الذى صدر حول إنتاجه كان سخيفاً سقيماً هزيلاً ، فكيف لا يعافه ويتنكر له ؟ !

ولكن ليس من العدل فى شيء أن ننسب هذه النقائص إلى الناقد أو إلى الفنان ، لأنها عيوب نظام تجارى سارت عليه الصحف فى النقد . ولكنها مع هذا وذاك عيوب سيئة ، لأنها تلحق الضرر بالناقد والفنان على السواء ؛ فهى تجعل الفنان يكره

النقد ويحتقره ، بينما ينبغي له أن يبدو لديه مفيداً قيماً . ثم إنهما تحمل الناقد أحياناً على هجر النقد واللجوء إلى عمل أيسر ، كأن يدلي بملاحظات عامة عابرة حول كتاب أو صورة أو عرض مفصحاً عن إعجابه بهذا أو مقته لذاك ، دون أن يقيم الحجة على ما يرى . ولا يعدو هذا أن يكون تعليقاً خالياً من الدقة والتعيين؛ ولا يمكن اعتباره نقداً بالمعنى الصحيح ، لأنه ليس تعليقاً على الإنتاج الفني وإنما على ذوق الجمهور . وما أشبه الناقد في هذه الحالة بصاحب الوليمة في العصور الوسطى عند ما كان يتذوق أصناف الطعام قبل أن يقدمها لضيوفه ليتأكد خلوها من كل ما هو سام ومضر . وفي كثير من الأحيان نجد الناقد قد حاد عن إصدار حكمه على الإنتاج الفني ، وعمد إلى مداعبة الفنان حول إنتاجه متهكماً مرة ولاذعاً أخرى ، ليضحك القراء بتلك الدعابة المستطابة لأنها لا تضر شخصياً سوى الفنان نفسه . فيغفل الفنان ذلك حانقاً لأن الناقد استخدم إنتاجه مطية لروح الدعابة عنده ولكن على الفنان قبل كل شيء ألا يثير هذا النوع من النقد المبتذل أي اهتمام . والحقيقة التي لا يمكن ابتكارها أن الفنان مهما بلغت درجة غروره أو ثقته بنفسه وعبقريته ، ليظل في أغلب الأحيان يصارع شكاً مخيفاً يساوره حول إنتاجه ، ولذلك كان أحوج ما يكون إلى نقد رفيق يدخل إلى نفسه قليلاً من التشجيع لأن ما يحتاجه فوق كل شيء أن يحظى إنتاجه بشيء من الجد الذي عاناه عندما شرع في خلقه . لسنا نطالب في الحقيقة إلا أن يقوم النقد بوظيفته الصحيحة ، مشيداً بذكر جهود الفنان في حقل التراث الفني العظيم مهما كانت تلك الجهود متواضعة . أما إذا تناولها الناقد بالتهكم والتجريح والغض والسخرية ، فإنه بذلك يدفع الفنان إلى الشك في قدرته وإمكانياته ، ويحمله على الاعتقاد في قرارة نفسه بضآلة شأنه وتفاهة إنتاجه .

ولسنا نعدم وجود نفر من الفنانين الذين يتحلون بقدر وافر من روح الدعابة ، ويتظاهرون بأنهم لا يقيمون وزناً للنقد اللاذع الجارح ولكنهم في الحقيقة يكرهونه ويحتقرونه ، لأنه يؤذي شعورهم ويحز قلوبهم حزاً ، ويوقعهم في أكثر الأحيان في هوة من اليأس المرير . ذلك لأنهم يظنون أن ما قيل فيهم ، حتى ولو كان سطحياً تافهاً ، يمكن أن يكون على جانب من الصحة ، فهم بحكم الواقع لا يستطيعون أن يروا إنتاجهم عن كثب ، ولا يمكنهم الاعتماد في ذلك إلا على الآخرين ينظرون إليه نظرة موضوعية مجردة عن كل هوى .

وإن أشنع أنواع النقد النقد السلبي الهدام الذي يترك الفنان يعاني شعوراً أليماً يظن معه أنه يحارب عالماً بأجمعه ، عالماً ليس يكره إنتاجه فحسب ، بل يكره الطموح الذي دفع إلى وضعه . ومن هذا النوع نقد جيفورد Gifford الشهير للشاعر كيتس Keats ؛ فلقد أوحى جيفورد في نقده أن من الخير لكيتس أن ينقطع عن نظم الشعر جملة واللجوء إلى مهنة شريفة كأن يصبح مثلاً مساعداً لصيدلي . ويحضرني في هذه المناسبة النقد العنيف الذي وجهه ابن سينا للفيلسوف البغدادي أبي الفرج الجاثوليق حين قال : « من حق تصنيفه أن يرد على بائعه ويترك عليه ثمنه » .

وفي هذه الحالة يرى الناقد أن لا شيء خير من شيء ما ؛ فخير لرسام أظهر لوحة فنية لو أنه لم يرسمها . غير أن الاعتقاد الصحيح الذي لا جدال فيه لدى كل عقل مبدع ، مهما استبدت به السذاجة ، ان عكس ذلك هو الصحيح . ولذا كان العقل الخلاق ولا يزال وسيظل على مدى العصور في صراع دائم مع العقل الهدام .

وكي أوفي البحث حقه أقرر من جديد أن من واجب الناقد ألا ينصب نفسه حاكماً يجلس إلى منصة القضاء ينزل العقوبات بالناس كي يحول دون اقترافهم الجرائم . وأحرى به أن يكون كالداخل إلى معرض الزهور ، يقابل بين أنواعها ، باحثاً عن الحسنات والسيئات ، مظهراً إعجابه بالمحاسن وماحاً بعض الحواجز لأصحابها ، غير كاتم استياءه من هبوط المستوى حيث تغلب العيوب على المحاسن . وعليه قبل كل ذلك كله أن يؤمن بأن شيئاً ما خير من لا شيء ، وأن الجهود الخلاقة مهما كانت متواضعة ، خير من لا شيء ، وأن الرغبة في الإبداع فضيلة في حد ذاتها ، والرغبة في الهدم لأكبر جريمة لا تغتفر .

صابر فرحات سعيد
مدرسة الفرندز للبنين
— رام الله —

من وحى المؤتمر الثقافى العربى

للانسة عزيزة توفيق

ها نحن أولاء جلوس فى حجرة الاستقبال « الصالون » بكلية الآداب بالشاطبى بالأسكندرية وقد تعددت اللهجات ، كل جاء يحمل مشعلا ليشترك فى اشعاع الضوء من الكوكب الدرى الذى مرت على ضوئه غيوم خفيفة حجبت نوره فترة من الزمن ، وإن لم يفقد الضياء .

وها نحن أولاء نشم عبير الهواء محملا برائحة (اليود) فنسرى فى أرواحنا نشوة نشاط ، ونرى الأمواج تسرع متسابقة متلاحقة يستخفها الفرح والسرور كأنها ترحب بنا . لقد دار الزمن دورته واجتمعت وفود العرب فى الأسكندرية التى كانت مهد الثقافة العربية وملتقى العلماء من كل فوج .

لقد اجتمعت وفودنا نحن العرب لنتباحث فى أحسن الوسائل العلمية التى تساعد على نشر الثقافة العربية . لقد جرف الشرق تيار قوى الموج يحمل معه زيف المدنية والحضارة وجرفنا نحن العرب أمامه ، وما زال يدفعنا ولما نستطيع الرجوع ضد التيار بعد. قام كل من المصلحين أو الداعين إلى الاصلاح يدلى برأى ؛ فمن قائل : يجب أن نعنى بالتراث القديم ، ونحيى ذكر العلوم العربية القديمة ونخرج كنوزها ونبتعد عن الثقافة الغربية ، ونسى أنه لكى نكون مثقفين يجب ألا نغلق عقولنا على ثقافة واحدة ، وأن نأخذ الخير من الثقافات الغربية لتكون بمثابة طعم لثقافتنا . لقد سلكت وزارات المعارف العربية طرقا شتى فى وضع برامج مختلفة تغيرت مرات كثيرة تبعا للظروف السياسية وما تقتضيه سياسة الاستعمار أو ما حظيت به بعض الشعوب من استقلال.

وها قد اجتمعت وفودهم اليوم ليوحدوا برامج التعليم ونسوا أن هذه فكرة مستحيلة ؛ إذ أنه لكى تكون الفائدة من العلم محققة يجب أن يتمشى مع عادات كل أمة وتقاليدها وما تقتضيه مصالحها ونواحى الحياة الاجتماعية والسياسية فيها . إن البلد الواحد يجب أن يتنوع فيه التعليم حسب الأقاليم ؛ فمثلا البلاد الزراعية يجب أن يعم فيها التعليم الزراعى ، وفى المدن الصناعية يجب أن يعم التعليم الصناعى ، وهكذا .

ولكنى أرى أن الفائدة الحقة من العلم والثقافة بوجه عام هى أن يكون علما تربويا وثقافة سلوكية ؛ أى نعنى بتربية أبنائنا التربية الحقة التى تتناول كل مرافق الحياة من النواحى الخلقية والدينية والعلمية والفنية . يجب أن نعلم أولادنا الحياة ، أى نعلمهم ليعرفوا كيف يعاملون الناس وكيف يحترمون أهليهم ومن هم أكبر منهم سنا وكيف يأكلون ويشربون ويلبسون .

هذه هى أغراض التعليم والثقافة الصحيحة ، إذ لا فائدة من علم أو ثقافة تقرأ فى الكتب لتنمى العقل وليس له أثر فى التكوين الشخصى والشعور والوجدان الذى يعبر عنه بالضمير .

لقد رأينا أولادنا وإخواننا وزملاءنا فى الجامعات والمعاهد العالية يقفون حيارى ، فقد احتشدت أذهانهم بالعلوم والنظريات التى تلقوها بأية وسيلة مهما اختلفت المناهج وطرق التعليم . ولكنهم لا يجدون لهذا الحشد من النظريات العلمية والمعارف الثقافية أى صدى فى نفوسهم . لقد ساروا فى مرحلة المراهقة التى يتشكك فيها الطالب فى كل شىء ، وليس لهم من أساس دينى يقوى فيهم الروح والعقيدة فباتوا يتساءلون من هم ، وماذا يراد بهم فى الحياة؟ وثاروا على كل شىء ، وانهز دعاة السوء ثورتهم تلك فباتوا يملأون أوعية نفوسهم الفارغة بآرائهم ومعتقداتهم الهدامة . وكانت مأساة الشباب التى شهدناها فى مصر وغيرها من البلدان العربية. لقد تلقى النشء العلم مجردا ، ولم يعن بتربيتهم تربية صحيحة سلوكية أو دينية خلقية ، فشى العقل وبعد مسافات عن الروح ، ومن هنا كانت الثورة وكان النزاع وكان عدم الاستقرار الذى يهدد حياة الشباب وأهدافهم ومثلهم العليا فى الحياة وما يسعون له فى الحياة .

وإذا تنبهت وفودنا إلى ذلك وراح بعض المصلحين ينادون بجعل الدين عنصرا أساسيا فى الثقافة العربية إذا بقائل آخر يعترض متسائلا عن أى دين يتبع .

ولو فكر قليلا لعلم أن جميع الأديان تهدى وتبين الشرائع

الأمل الذاوى

رمز على قبر الشاعرة الراحلة ن . ط . ع .

عزيز علينا أن يمضى أحباؤنا الذين نحبهم . . . إننا دوما نذكر لياليا وأيامنا الجميلة ، وقد أصبحت ذكرى تبكيها من حيات قلوبنا . ويوم تعود بنا الذكرى إلى الأيام الخوالى يعصرنا الأسى ولا نملك إلا البكاء ..

عزيز علينا أن نفقد إنسانا كان إلى جوارنا يعيش ، وعلى أرضنا يمرح ، ومن قوتنا يطعم ، ثم يصبح بعد ذلك أثراً وخبرا وذكرى

والله إنه لعزيز علينا أن تتلفت حوالينا فلا نجد الا العذاب ، ونفتش عن الجنة التى افتقدناها فلا نجد الا الشقاء ؟

عزيز علينا أن نعيش فى القفر من غير قلب وناس . . أما قلبنا فقد افتقدناه عند موت قريب أو صديق ، وهؤلاء الأحباء جميعا كانوا سلوة لنا فى دنيا الأسى والنحيب ، كانوا بعضا منا يصلون من أجلنا ويحنون علينا ويباركوننا ويملؤون علينا دنيانا . . وفى خطفة البرق يذهبون ولا نملك لهم إلا الدعاء !

وأمسكت بالجريدة ثم أرسلت الطرف الحزين أفتش عنها فسقط بصرى على نعيها فحارت فى مقلتى الدموع ! ...

أمات « ن » ؟ وكيف يموت ذلك الشباب يا أرحم الراحمين ؟

ياحسرة قلبى على الأمل الذى ضاع ، والشباب الغض الذى راح ، وحلت فى زوايا القلب ذكراه !

كانت رحمة الله عليها تنظر إلى الحياة نظرة الطائر المعذب يتلمس الانطلاق فلا يجد الا القيود ، ويهفو إلى النور فلا يجد إلا الظلام . . . ويرغب فى الحياة فلا يجد إلا الموت . . ، حتى إذا أعوزته النجاة كل جناحاه وهو فى التراب !

ياضيعة العمر ... فى ذلك السجن

محبوسة الفكر ... فى ميعة السن

وتركب زورق اليأس والحزن المرير :

وسار الشراع بأثقاله ... وقلب يضيق بهذا العذاب

يجوب الحياة فتمضى السنون ... وتذوى الأمانى ويبلى الأهاب

ومامن شعاع ينير السبيل ... ويهدى النفوس خلال الضباب

وجلست ساعة الأصيل فى حديقة بيتى ، ومضيت أتأمل

والسبيل الخيرة لإصلاح الفرد والمجتمع ، وأن الدين — على حسب المثل القائل — هو المعاملة . وما أريد بجعل الدين جزءا من الثقافة أن يحفظ النشء آيات الكتب المقدسة وتفسيرها على حسب ما يذهب إليه رجال الدين ، وأن هذا حرام وأن هذا حلال دون أن يكون لذلك من أثر فى تربية الروح ، بل يراد به أن يتخذ كوسيلة للتربية الخلقية والتكوين النفسى على أسس تتمشى مع وسائل العلم الحديثة وتطور المجتمع .

نحن لا نريد من النشء أن يذكر لنا أنه حائز لشهادات عالية ، بل نريد أن نرى ونلمس بأنفسنا أنه قد تثقف ثقافة عالية . نريد تربية لأولادنا ولا نريد لهم علما مجردا يدفعهم إلى صخرة صلدة تحطمهم وتمزق أوصالهم . ولقد قال الأستاذ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء فى بعض محاضراته « إن حياة القلب هى التى تنمى حياة العلم والإدراك » .

وما دمنا نريد تربية روحية حقة فعلينا أن نلاحظ فيها التربية الجمالية بأوسع معانيها فهى كل فروع الروح ، فننمى فيهم حب الجمال الذى ينشع منه تربية الذوق الجميل والحس المرهف .

فاذا ما نادينا بتربيتهم تربية روحية يجب أن ننادى بالتربية الثقافية الفنية التى تتناول كل ما يتعلق بحياتهم وتعلمهم السير فيها على أحسن ما نرجوه لهم من خير وسعادة .

وفقنا الله لنرى أعيننا النور قويا ساطعا ، لا شىء يحجبه دوننا ، وأن نسمع الصوت قويا واضحا فنسعى إلى الضوء ونلبى جميعا النداء ، لنكون خير أمة عالمية ونحقق الغرض الذى اجتمعت لأجله وفودنا العربية فيزداد الكوكب الدرى سناء وحتى تقبس منه الأمم الغربية والشرقية بعض ما تهدى به ثقافاتها .

عزيزة توفيق

عضو المؤتمر .

الأزاهير ريانة تتفتح والطيور تغنى وتصدح وتنهل من جمال الحياة وحدقت فى زهرة من بعيد أتأملها وأنا حزين ملتاع . . . إنها الساعة يفوح منها أريج الشباب ، وتختال فى نضرة العمر ؛ وبعد قليل سوف تذبل وتموت وتصبح لاشىء !

وأفقت من ذهولى على صوت تردد صداه أشبه بالقذيفة انطلقت من بندقية ، أعقبه أنين خافت ابتلعه السكون ، ففزعت وتلفت حوالى أرى من عكر ذلك السكون ، وأنا مضطرب لهيف ، فثبت بصرى على خيط من دماء تنسكب من الطائر الكنارى المسكين وهو ملقى بين جدران القفص ! وأدركت عبث الأيام وصروف الدهر ، وقد لمحت من بعيد صياد ! يبعث ببندقيته بين يديه !

كانت « ن » طيب الله ثراها أشبه بهذا الطائر المسكين ، تنشق عبير الحياة ، وهى ترسف فى الاغلال ، وكانت وكانت ثم عدا عليها الموت فأصبحت لاشىء !

بالقسوة الحياة ! أتثوى « ن » فى قبرها المظلم ، وقد غلقت وراءها أمانيها ودنياها ! ؟ ولن يشرق عليها بعد ذلك صباح ، ولن يغمرها شعاع شمس أو ضياء قمر

كانت يرحمها الله شاعرة دقيقة الحس ، فياضة الشعور ، تتشوق إلى الحياة ، وتصبو إلى الأمل الباسم ، والمستقبل الزاهر ولكنها تنظر بعين اليأس نحو مقبل الأيام :

يقولون فى الغد يأتى الهناء ترى أين ذاك الغد المنتظر
أيقبل بعد الشتاء النسيم كما يقبل الصحو بعد المطر
إذا كان هذا نظام القضاء أصبحت أسعد من البشر
ولكننى قد رأيت الزمان أصم السريرة أعمى البصر

وبرغم ذلك فهى تناضل فى سبيل السمو والمجد وتود أن تنالهما من أنهـــار الشعر ، وقد نضر حواشيها الضمير والوفاء والشباب غير عابئة بمن يزرع طريقها بالأشواك :

وقلنا سلاحك هل من سلاح لديك به تقهرين الصعاب
طريقك أختاه وعر طويل وسوف تلاقين شتى الصعاب
فقلت سلاحى صدق الوفاء وهذا الطموح وهذا الشباب
وفى زورقى ما يروق النفوس ويبعث منها الرضا والسرور
مجاديفه مكفولة بالهدى مراسيه موكولة للضمير
يرف عليه لواء الغريض فيدنو له كل قاص عسير

وتنشب فى صدرها معركة هائلة بين الموت والحياة ، ويحتدم الصراع ، وينتفض الخلودين أنياب الفناء فتقول فى آخر قصيدة لها

٢٦ . ٣٥

ألم تسمعى وقع خطو الزمان ألم تفزعى من نداء الحفر
وفزعت أيتها الانسانية وطلبت الحياة ولكنك لم تجدى غير الموت :

لقد مالت الشمس نحو المغيب إلى أين مسراك يا فانية

وانهمرت دموعى من أجل عمرها الذى ذبل ، ومجدها الذى ضاع ودفنت بواديه

أهو الشعور بالسخط على الحياة يوم تذبل زهرة فى تباشير الصباح ؟ . أم هو الشعور بالاسى واللوعة يوم تطوى أعلام وتقبر روح كانت تود أن تنطلق فى سماء الحياة ؟

أجل ، لقد انطلقت أيتها الروح ، فحلقى ماشئت طليقة من من كل قيد ، عند الله ! والحياة من بعدك تفرو موت وأى موت وظلام وأى ظلام !

أحمد شفيق علمى

تاريخ الأدب العربى

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع اثنى عشرة مرة فى ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

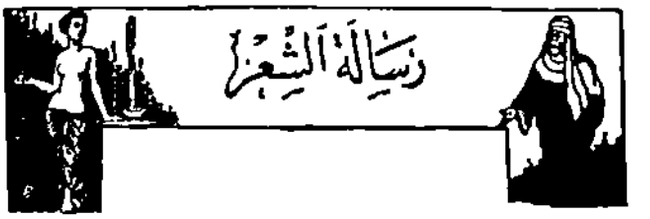

فى مصر

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

يا مصر ، حلم ساحر الألوان رافق كل عمرى
كم داعبت روحى رؤاه فرف روحى خلف صدرى
حلم كظل الواحة الخضراء فى صحراء قفر ..
أن أجتلى هذا الحمى ... وأضمه قلباً وعين
واليوم ، فى حلم أنا ، أم يقظة ، أم بين بين ؟!

* * *

صدحت بقلبى إذ وطئت ثراك أنغام سواحر
فكأننا فى قلبى المأخوذ غنى ألف طائر ...
وغرقت فى أمواج إحساس بعيد النور خائر
أ أنا هنا فى النيل ، فى الأهرام ، فى ظل النخيل ؟!

* * *

وتلفتت عيناى فى دهش ، وفى لهف غريب ..
ماذا ؟ هنا الدنيا الخلوب تثير أهواء القلوب ..
ماذا ؟ هنا نار الحياة تؤج سارخة اللهيب ..
فى كل مجلى فتنة رقصت وسحر مد ظله
ماذا ؟ أمصر ؟ أم رؤى أسطورة من ألف ليله ؟!

* * *

أنى اتجهت تجاوب وصدى لموسيقى الوجود
فى النيل يعزف لحنه الأبدى للشط السعيد
فى وشوشات النسمه المعطار ، فى النخل الميود
حتى النجوم هنا أحس لهن ألحاناً شجيه
حتى السحاب إخاله تحدوه موسيقى خفيه

* * *

يا مصر بى عطش إلى فرح الحياة ... إلى الصفاء ..
يا مصر نحن هناك أموات بمقبرة الشقاء ...
لا يطمئن بنا قرار ... لا يعانقنا رجاء ...
لا شىء إلا ضحكة الهزء المرير على الباسم !
كالضحكة الخرساء قد بيست على فك الجماجم !!

* * *

نفسى مصدعة ... فضمينى لأنسى فيك نفسى
قست الحياة وأترعت بمرارة الآلام كأسى
والظلمة السوداء مطبقة على روحى وحسى
فاحنى على وزوديني من مفاتنك الجميلة ...
هى نهزة لم أدر كيف سخت بها الدنيا البخيلة

* * *

يا ليتنى يا مصر نجم فى سمائك يخفق
يا ليتنى فى نيلك الأزلى موج يدفق
يا ليتنى لغز ... أبو الهول احتواه ، مغلق ...
تهوى وتنسحق الدهور هوا كباً ، وأنا هنا
بعض خفى من كيانك لست أدرك ما أنا !

* * *

يا مصر ، حلم ساحر الألوان رافق كل عمرى
كم داعبت روحى رؤاه فرف روحى خلف صدرى
حلم كظل الواحة الخضراء فى صحراء قفر
أن أجتلى هذا الحمى وأضمه قلباً وعين ...
واليوم ، فى حلم أنا ، أم يقظة ، أم بين بين!!

القاهرة — فدوى عبد الفتاح طوقان

الخطيئة المجسمة

للاستاذ محمد مفتاح الفيتورى

الكرى عاقد جفون البرايا والدجى مطبق عيون النهار
والرياح النكباء أقفرت الطرق وأخلت نوادى السمار
وأيادى الضباب ألقت على الآفاق مما يمكن ألف إزار

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

ذكريات يثيرها العيد :

«ونظر إلى السماء نظرة طويلة ، حار فيها دمع واضطرب بريق .. واحة فى صحراء ؟ ونبع يتدفق ماؤه ؟ وزهرة ندية بالمطر فواحة بالأرج ؟ كل هذه الأشياء يا رب له ؟ أين كانت وأين كان ؟! . وابتسم للحياة من قلبه ، وأضفى عليها من روحه ، وقبس لها من حبه ، وأصبح إنسانا غير الذى كان !

فاخلى قلبك المكفن بالآثام وامضى ملعونة الآثار
احليه على يديك كما تحمل أم اللقيط تاج العار
احليه كزهرة وطأتها قدم العابثين والفجار
ويك يا هاته الذبابة من أنت ؟ ومن أى حمأة أو قرار
أنت جرثومة من الشر جوعى لامتصاص القلوب والأفكار
أنت مخلوقة حضيضية الأصل (م) كدود القدران والآبار
أنت شىء أنكرت ذاتيتى فيه (م) وفيه عرفت معنى انهيارى
ويك يا هاته وأنت دخان كيف أطفأت ثورة الأعصار
كيف قاربت هيكلى ثم لم يحرقك سيلى ولم تحرقك نارى
كيف لطخت بالخطيئة محرابى (م) وقد كان كعبة الاطهار
كيف أطبقت مقلتى فلم أبصر طريق المشوب بالأوضار
كيف قيدت فى حبالك عنقى ثم سيرتنى بغير اختيارى
كيف أذللت كبريائى فهانت وهى من لم تذل للأقدار
آه واحسرتا لما ضاع منى من سموى وعزتى ووقارى
فاغربى — أغربى بوجهك لا بورك يوم القاك خلف جدارى
حسب شيطانك الغوى خضوعى وأنا الحر — عند ساق عارى
ويحسبى ندامة ليس تمحوها (م) صلاتى وخالد استغفارى

محمد متفاح القيشورى

وألقى بالماضى كله فى زوايا العدم .. لقد كان يعيش فى حاضره ؛ حاضره الذى داعبته رؤى من المستقبل البسام ، ورقصت على حواشيه أطياف من الأمل الوليد ، وانطلقت فى أرجائه صيحة العمر الذى بعث .. هناك حيث ينتظره المجد تدفعه إليه يد حانية ، وقلب يخفق ، وبسمة تشرق ، وروح يرح بها الشوق إلى لقاء روح ؛ ويا بعد الدنيا التى كانت فى قلبه والدنيا التى ترامت لعينيه !

ومضت به الحياة فى طريقها تطوى الأيام .. الزهرة الحبيبة يسقيها من فيض عطفه ، والنبع الرقراق يسعى إليه إذا طال ظمؤه ، والواحة الوارفة تحميه بظلها من لفح الهجير : يا صحراء : أين كانت الجنة ؟ لقد كانت فى رحابك وهما بغيضاً لا غناء فيه !

يا صحراء : أين كانت السعادة ؟ لقد كانت فى عذابك حلماً مخيفاً لا تأويل له ! وأنت يا زهرته الحبيبة أين كنت ؟ لقد قالت له عيناك إن الجنة ليست وهما ، وإن السعادة ليست حلما ، وإن ماضيه كله يمكن أن يختصر فى لحظة من حاضره . ماضيه الذى أصبح ذكرى فى طوايا الغيب ، وومضة فى ثنايا الخاطر ، وصرخة كتمت أنغامها يد النسيان !

وفى تلك الدار من ذلك الحى كان هواه .. يذهب إليها مع الصبح ، وحين يقبل الليل ، وكلما هزه الشوق وطال الحنين ؛ ولن ينسى كيف كانت تستقبله الدار يوم كان يقصد إليها : ملء يديه زهر ، وملء عينيه أمل ، وملء قلبه حب ، وملء نفسه دنيا من الأحلام .. أبداً لن ينسى الوجه الذى كان يتلقاه باليدين حين يقبل ، وبالروح حين يجلس ، وبالدعاء حين ينصرف مودعاً إلى لقاء قريب . ولن ينسى أنها كانت تهوى الأدب ، وتعشق الفن ، ويملك عليها الشاعر كل معنى جميل .. ولن ينسى أن صلتها به كانت عن هذا الطريق الذى جمع بين قلبها وقلبه ، وبين طبعها وطبعه ، وبين شعورها وشعوره . ومن أجل هذا كله كان يدفع إليها بكل كتاب يقرؤه ، وكل مقال يكتبه ، وكل أثر من آثار الفن يعلم أنه يلقى من نفسها هوى ورعاية .

أبداً لن ينسى يا دار هواه ، يا من كنت وحى قلمه ومهبط إلهامه وحديث أمانيه ... لن ينسى حين غاب عنك أياما ثم ذهب ليرى أهلك فى تلك الأمسية التى ينفر من بعدها صباح العيد :

لقد كنت يا دار واجمة ، كئيبة ، يمرح في جنباتك الصمت ويطبق السكون ! أين يا دار من كانت تفتح له الباب وكأنها تفتح له أبواب الشعور بالدنيا على مصاريعها ؟ أين ... أين ؟ لقد قالوا له إنها مريضة . مريضة ؟ وهرع إلى حجرتها مسلوب الوعي مرتاع الخطو ملتاع الضمير ، وأخذ مكانه إلى جانبها وتناول يديها بين يديه ، وألقى على الوجه الشاحب نظرة سكب فيها من ذوب قلبه كل ما أدخرته الليالي وحفظته الأيام . أما هي .. فلم تنطق بكلمة ، لقد أطبقت شفتيها الذابلتين ، وشع من عينيها بريق عتاب لونته الدموع !

وأطرق برأسه إلى الأرض برهة ، وطوفت نظراته الذاهلة هنا وهناك كأنما تبحث عن الألفاظ الحيرى في ساعة اللقاء .. واستطاع بعد جهد أن يجمع شتات نفسه ليقول لها : لا أدري كيف أعتذر إليك . أحقا كنت غائباً وأنت مريضة ؟ كيف بالله لم يحدثني قلبي ؟ . ألا تغفرين لي ؟!

وأمام اللهفة الحرى والخشوع الضارع والصمت المبتهل غفرت له .. ويا لحظة الغفران كم خففت من وخز ضميره ، وكم حلت من عبء عذابه ، وكم قربت بينه وبين الله !!

ومضى يحدثها ويحدثه ، ويا عجبا . لقد عاد إلى الوجه الشاحب إشراقة الفجر ، وإلى الوجنة الذابلة نضارة الورد ، وإلى النظرة الفاترة صفاء النبع ، وإلى الجسد المنهك تدفق العافية ! وقالت له وهي تستوي في سريرها جالسة : انظر .. ألا ترى أن العافية قد عادت إلى بعودتك ؟ فأجاب والفرحة الجارفة تهز كل ذرة في كيانه : لو كنت أعلم لزرتك قبل اليوم ، ولما تركتك نهبا للوادي السقم ! ومضى يحدثها ويحدثه ، ويقرأ لها ويصغي إليه ، ويبني لها من قصور الأوهام ما شاءت فنونه وشجونه . كم أقام على دعائم الخيال عشهما المنتظر ؛ عشهما الجميل الهادىء ، ذلك الذي يملؤه الأطفال أنسا ومرحا وبهجة ، ويملؤه هي حبا وحنانا ورحمة ! وتقول له وهي في غمرة الأماني وزحمة الأحلام : بالله دعنا من المستقبل وخلنا في الحاضر .. إن غدا ليوم عيد ، فهل فكرت في أن تهيىء لنا مكانا جميلا نقضي يومنا فيه ؟! ويقول في صوت تنطلق فيه الهمسة من فجاج روحه : أما العيد فأنا اليوم فيه .. وأما المكان الجميل فقد هيأته لك في قلبي !

وترنو إليه معجبة ، ويرتسم على شفتيها ظل ابتسامة فاتنة ، وتهتف من الأعماق قائلة له : هل تعرف أنك تجيد فن الحوار ؟ لماذا لا تعالج كتابة القصة ؟ أنا في انتظار اليوم الذي تكتب فيه قصتك الأولى !

ويعدها بأن يكتب قصته الأولى ، ويودعها وتودعه ، وينطلق عائداً إلى بيته على أن يراها في صباح العيد . ولم يكن يعلم أن المقادير تدخر له أسود ليلة في رصيد العمر ، وأبشع صباح في حساب الشعور ! ولم يكن يدرك أن ما رآه من ومضات العافية حين جلس إليها كان أشبه بومضات المصباح قد فرغ زيته ، فهو يرسل أسطع أضوائه قبل أن ينطفىء ، ويترك الحياة من حوله يختنق فيها النور تحت قبضة الظلام .. لقد طوى الموت في السماء صفحة عمر ، وغيب القبر في الصباح أحلام عذراء !!

وسأل نفسه وهو يشهد ليلة تنطوي وفجراً يبزغ : أيمكن أن تمر تلك الليلة على انسان كما مرت عليه ؟ وسمع جواب نفسه منبعثاً من أعماقه : محال !

وكانت ليلة عيد .. ولا يذكر أنه أحس القفر في حياته كما أحسه في تلك الليلة ، ولا يذكر أنه أنكر دنياه كما أنكرها في تلك الليلة ، ولا يذكر أنه استشعر الوحدة والغربة والفراغ كما استشعرها في تلك الليلة .. لقد كان يشم في كل شيء حوله رائحة الموت ؛ الموت الكريه البشع الذي يتراءى للأحياء في الليالي السود ، ويلف الآمال في أكفانه ، ويهيل على جمال الحياة أكوام التراب !

وأشرقت شمس العيد ترسل ضياءها إلى قلوب الناس إلا قلبه .. لقد بقي وحده في الظلام ؛ ظلام الأماني التي ذوت ، والفرحة الكبرى التي انطوت ، والدنيا التي ذهبت إلى غير معاد . ولأول مرة منذ سنين شعر بدافع قوي إلى البكاء ، وحاول أن يبكي ولكنه لم يستطع لقد تجمدت الدموع في عينيه ، ثم تحدرت إلى قلبه قطرات : فيها من دفء عاطفته ، وفيها من رقة وجدانه ، وفيها من لوعة حرمانه ... وفيها من وهج أساه !

ونظر إلى السماء نظرة من يبحث عن شيء عزيز قد ضاع منه ، أو نظرة من يسأل السماء سؤالا لا جواب عنه : أين يا رب يجد

الصبر وينشد السلوة ويلتمس العزاء ؟ كل شيء قد انتهى ، وكل جلد قد انقضى ، وكل زاوية من زوايا النور قد أغلقتها يد الزمن . وهاهو يمضي في الحياة وحيداً بلا رفيق ، وغريباً بلا حبيب ، وجريحاً تخضبت معالم الطريق من فيض دمه ! »

فقرات من مقال حزين كتبه للرسالة منذ عامين ... زهرات تمتد يده إلى حديقة الذكريات لتقطفها في حنو بالغ ... ثم تقدمها إلى قبرها الحبيب تحية وفاء في يوم عيد !

عامان في حساب الزمن ، تطمس فيهما يد النسيان من تاريخ كل حي سطوراً وكلمات . أما هو فقصة حياته ماثلة أبداً لعينيه ، يرقب على مسرح الشعور فصولها المتلاحقة .. ويصفق بالجوانح لذلك المشهد المثير الذي هز قلبه في يوم من الأيام !

كانت قصة عجيبة .. بدأتها هي فكتبت بمداد النبوغ فصلها الأول .. وحين لمح هو بوادر الإلهام أحب أن يقاسمها الخلود فكتب فصلها الثاني .. وحين أوشكت معجزة الخلق في بدالبشر أن تنافس القـــدر ، ضاقت السماء بهذه الألوهية فكتبت فصلها الأخير !!

وتركته وحده يشهد ختام المأساة .. وبعد ليلتين رآها في الحلم طيفاً يعاتبه ؛ يعاتبه على أنه لم يف بوعده منذ عامين في ليلة عيد ! وقالت له فيما قالت : ترى هل نسيت عهد الوفاء ؟ إنك منذ رحلت لم تذكرني بكلمة .. ولم تذرف على دمعة ... ولم تبعث إلى بفحة عزاء ... أتحسب أنني في العالم الآخر لا أراك ؟! .. وأجابها في نظرة المتهم البريء يريد أن يدفع عن نفسه مرارة الاتهام : لقد وفيت بوعدي يا أختاه .. شيعتك إلى المكان الذي قدر لي ولك أن يطوى بين جنباته أول أمل .. وقدمت إليك « من الأعماق » نداء من القلب يؤنس وحشتك في ظلام القبر .. وكتبت «من وراء الأبد» قصة إنسانة وفت وفيها من سماتك روح وعنوان . أما الدموع فلا تسأل عنها العيون وإنما تسأل القلوب .. وما أصدق دموع الأعماق !

وقالت وهي تشرق بدمعها وترنو إليه في حنان : لقد كنت أمتحن وفاءك . ترى هل أنت سعيد في صحبة الأحياء ؟ وأجاب وهو يمد عينيه إلى الأفق البعيد حتى لا تلتقي منهما النظرات : لا أدري .. فمنذ أخذتك السماء من الأرض وأنا أهرب من السؤال إشفاقاً من الجواب !

وبدأت خيوط الفجر تتسلل من النافذة لتوقظه في رفق من حلمه القصير .. وهب من نومه ليرى ذراعيه ممدودتين في الهواء .. تعانقان الفراغ والوحشة والسكون ! وهتف في صوت لم يسمعه غير الله : يا رب .. هل تأذن لي في أن أعتب عليك ؟!

اتجاه جرير لتوفيق الحكيم :

«وكم لنا في بعض الناس من آراء لا ينقصها لتظهر غير عدد من الناسبات » .. هذا ما ختمتم به جزءاً من تعقيباتكم في العدد (٨٩٧) من الرسالة . وهأنذا أتخذها فريعة لكي تنشروا رأيكم بصراحة في مسرحيات توفيق الحكيم التي تنشر في « أخبار اليوم » من وقت إلى آخر .. وكفى بذلك مناسبة !

وما كنت لأوجه إليكم هذا السؤال إلا لعلمي بأنكم من أصدقاء الأستاذ الحكيم ، ولما عهدناه فيكم — نحن القراء — من حرية في الرأي وقوة في القلم ، ومع إني لا أنكر أن الأستاذ الحكيم من أكبر الكتاب في مصر إلا أنني قد أحسست ومعي كثير من القراء بما في مسرحياته المذكورة من السرعة وعدم الاتقان ... فاذا أخذنا مسرحيته الأخيرة المنشورة بالعدد (٣٠٥) من «أخبار اليوم» والمسماة « مفتاح النجاح » ، كان ذلك أصدق مثال لما ذكرته عن بعض هذه المسرحيات . فالموضوع كما هو واضح للذي قرأ المسرحية ، ما هو إلا تصوير لبعض أعمال الوزراء بما فيها من استثناءات وما ينتج عن حرية الرأي والصراحة في المصالح الحكومية ! والمسرحية تكاد تكون جميلة ، إلا أنه قد أقحم فيها بعض الشخصيات التي لا تتصل اتصالا وثيقا بجوهر الموضوع كشخصيتي سميرة ونبيلة ... ثم ألا توافقوني على أن الإطار الذي وضعت فيه المسرحية لم يكن قوي الحبكة ؟ إنني

لا أفهم أن يقحم أى شخص فى سير الحوادث ما لم يكن له تأثير كبر أم صغر ، وإن أوما الأستاذ الحكيم إلى زيارة سميرة ونبيلة بجملة واحدة قالها الوزير على لسانه ليظهر بعض أعماله وهى : « كان عندى زوار فى موضوع هام » ، حينما قال وكيل الوزارة: « جئت إلى معاليك منذ لحظة فوجدت النور الأحمر على الباب » !

ألم يكن الكاتب الكبير يستطيع أن يظهر هـــذا الرأى ولكن بأشخاص لهم صلة وثيقة بالموضوع وتأثير مباشر فى المسرحية ؟ إنى لكبير الأمل فى أن أقرأ على صفحات الرسالة رأيكم فى الأستاذ توفيق الحكيم عامة وفى مسرحيته الأخيرة خاصة .

« مصطفى أ »

قبل أن أعقب على هذه الرسالة أشير إلى أمرين يثيران الدهشة والعجب : أولهما أن الأديب الفاضل يريد أن يسمع رأيى فى الأستاذ توفيق الحكيم ... أين كنت يا أخى وقد كتبت عنه أكثر من عشرين مرة ؟! إنك إذا رجعت إلى أعداد «الرسالة» فسيطالعك عن توفيق الحكيم آراء متعددة طفت بها حول كل الجوانب فى شخصيته الفنية ! أما الأمر الثانى الذى يدهشنى من صاحب هذه الرسالة فهو إخفاء الجزء الأخير من اسمه لسبب غير معلوم ... لماذا آثر أن يختفى وراء هذا الامضاء الذى ظهر أوله وغاب آخره ؟ سؤال يحتاج إلى جواب !

بعد هذا أقول له إن الأستاذ الحكيم فى مسرحيته الأخيرة بعيد كل البعد عما تخيله ورماه به ، وأعنى به السرعة وعدم الاتقان.. الحق أن الأديب الفاضل هو الذى كان متسرعا فى قراءته للمسرحية وفى حكمه عليها من غير تثبت ولا مراجعة ! وأشهد لقد طلبت الأستاذ الحكيم فى التليفون يوم أن ظهرت هذه المسرحية لأهنئه ، ولكننى وجدته متغيبا عن القاهرة ... طلبته لأهنئه على هذا الاتجاه الجديد الذى يسير فيه !

إنه اتجاه سبق أن تحدثت بشأنه إلى الأستاذ الحكيم منذ أن وضع بذرته الأولى فى أول مسرحية قدمها إلى المسرح وأعنى بها مسرحية « اللص » ... لقد عاد توفيق الحكيم منذ هذا التاريخ إلى الحياة المصرية بعد أن غاب عنها فترة طويلة قضاها فى ضيافة الأسطورة التاريخية . عاد إلى هذه الحياة ليسلط عليها أضواء فنه فى كثير من الخبرة الواعية والمراقبة الصادقة .

من حق توفيق الحكيم على النقد الأدبى أن يسجل له هـذا الاتجاه الاجتماعى الجديد ، وأن يهنئه على أن خط السير الفنى فى أعماله الأخيرة كان مستقيما لا انحراف فيه ... هذه كلمات لا أثر فيها للمجاملة التى تكون بين الأصدقاء ، لأن صفحات الرسالة قد سجلت لهذا القلم حملات قاسية على فن هذا « الصديق » يوم أن فاحت منه رائحة الجدران المغلقة بعد جولة طويلة فى الهواء الطليق !

وأعود إلى مسرحية « مفتاح النجاح » لأقول للاديب صاحب الإمضاء : إن شخصيتى سميرة ونبيلة لا تقلان فى الوضع الفنى لتصميم المسرحية عن بقية الشخوص ، أعنى أن وجودهما على المسرح أمر لا غنى عنه إذا ما أردنا للواقعية الفنية أن تسير فى طريقها المرسوم ... إنهما شخصيتان غير دخيلتين كما يتوهم الأديب الفاضل ، بل هما أصيلتان فى واقع الفن وواقع الحياة !

لقد ابتلى توفيق الحكيم يوما بداء الوظيفة الحكومية ، ومن وراء المنظار وقعت عينه الفاحصة على كثير من المآسى الخلقية التى صبها عن طريق مسرحيته فى قالبها الفنى الذى يتسع لها ولا يزيد ... وكيل الوزارة المساعد يريد أن يتقرب إلى الوزير بشتى الطرق والأساليب ، وهو فى سبيل هـذا التقرب يطلق كل ما فى جعبته من سهام : السهم الأول هو وضـــع زوجته « سميرة » فى خدمة « نبيلة » بنت الوزير ، ولا بأس من أن تكون خادمة فى بيت وزيره تقضى للزوجة والابنة كل ما يحتاجان إليه من أمور ... وتريد العدسة الواعية من وراء هـذه اللقطة البارعة أن توحى إلى القارىء بمدى تأثير هذه الخدمات «المنزلية» فى نفس الوزير ، وما يترتب عليها من خدمات « مصلحية »

ينتظرها الوكيل المساعد ... ومن هنا تظهر القيمة الحقيقية لظهور هاتين الشخصيتين الأنثويتين على مسرح الحوادث لغرض مقصود !

هذا هو السهم الأول ، أما السهم الثاني فيستقر في قلب هذه الحقيقة الثانية التي سجلها توفيق الحكيم ، وهي سعي الوكيل المساعد إلى النيل من زميله وكيل الوزارة حين أوحى إلى الوزير بوجوب منح أحد « المحاسيب » ترقية استثنائية ، مقدما أدق الأدلة على ما يتمتع به هذا المحسوب من « كفاءة » منقطعة النظير ... وعلى جناح الكيد والدس والوقيعة ينقل إليه أن وكيل الوزارة معترض على منح هذه الترقية لأنها حق غير مشروع ، وأنه بهذا الاعتراض المتكرر يعطل أعمال الوزير ويقف في وجه مشروعاته « الإصلاحية » !

ويبقى السهم الثالث والأخير ، وهو جناية الصراحة على أهلها حين يستدعي الوزير وكيله ليستطلع رأيه في هذا الذي نسب إليه ... ويدور بينهما نقاش طويل يبدؤه الوزير بأنه يحب الصراحة ويقدرها ويضع صاحبها من نفسه في أحب مكان ! وحين يطمئن الوكيل إلى هذا الخلق « الحميد » يجهر برأيه في شجاعة ، وخلاصة هذا الرأي أن « محسوب » الوزير صفر اليدين من كل ما يؤهله للظفر بدرجة ليست من حقه وإنما هي من حق الآخرين ...

وتقديراً لهذه الصراحة يجتمع مجلس الوزراء لينظر في شكوى الوزير من أن وكيله يعطل أعمال الوزارة حتى ليستحيل معه كل تعاون منشود ... ويحال الوكيل الأصيل إلى المعاش ليظفر الوكيل المساعد بمنصبه، والفضل في هذه الخدمة « المصلحية » إلى ما سبقها من خدمات « منزلية » توضع في المقام الأول من قيم المواهب والحسنات !!

حول مشكلة الفهم والقيود:

في العدد الماضي من الرسالة قرأت كلمة للاستاذ الفاضل علي محمد سرطاوي يرد بها على رأي سابق لي حول مشكلة القيود في الفن ... ولقد رأى الأستاذ أن يخالفني في بعض وجهات نظر لم تتضح له كل الوضوح ، فراح يعدد مظاهر الاختلاف بين نظرتين تذهب كل منهما في فهم مشكلات الفن إلى طريق !

أود قبل أن أعقب على كلمة الأستاذ الفاضل في العدد المقبل من الرسالة ، أن أبعث إليه بأخلص الشكر على تحيته الرقيقة التي وجهها إلي في ختام كلمته ، هذه التحية التي يعطرها الخلق ويزجيها الوفاء

أنور المعداوي

من الأدب الفرنسي

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة

عن نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

الثمن ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

الثقافة العربية في المؤتمر الثقافي :

أشرت من قبل إلى التقرير القيم الذي وضعته لجنة الثقافة العربية في المؤتمر الثقافي . وأرى الآن من تمام الفائدة أن نذكر بعض ما احتواه .

أخذت اللجنة كلمة الثقافة في مدلولها الواسع ، وهو معارف الأمة وأدبها وعاداتها وتقاليدها واتجاهاتها الروحية والفنية . ونظرت بهذا المعنى إلى الثقافة العربية فوجدت أن من أهم مقوماتها (١) تراثها الفكري الخصب الغني الذي اتسمت آفاقه لثمار الثقافات القديمة الأخرى التي احتك بها العرب في أيام نهضتهم وأثر بدوره في ثقافة العالم من طريق تأثيره في الفكر الأوربي .

(٢) أن لغة تلك الثقافة — وهي العربية الفصحى — لغة ذات تاريخ قديم متصل الحلقات ، وأنها قد سايرت الحضارة وكانت أداة طيعة للعلم والأدب والفلسفة في عصور الازدهار الفكري للعرب .

(٣) أن لهذه الثقافة أدبها وفنونها وآثارها التي انطبعت بطابعها وتأثرت بمزاجها وترجمت عن أطوار تاريخها .

(٤) أن هذه الثقافة منذ ظهور الإسلام أصبحت تستمد أهم مثلها واتجاهاتها من الدين وتعاليمه ، وأنها قد حاولت في مختلف عصورها أن تستمد من تشريعه قواعد وأساسا لحياتها الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسة ، وأن أدبها ودراساتها الأساسية قد تأثرا بكتاب ذلك الدين والحرص على حفظه وفهم أسراره .

(٥) أن هذه الثقافة تمثل فلسفة في الحياة والاجتماع أهم ما تتميز به توفيقها بين سلطة الحاكم وحرية المحكوم ، واحترامها للملكية الفردية وتوجيهها للتعاون بين الغني والفقير ، وعدم تفريقها بين الأجناس والألوان ، وإصرارها على قسط معين من من الأدب والاحتشام في حياة الجنسين (الرجل والمرأة) وتسويتها بينهما — إلا في حالات معدودة — في الحقوق والواجبات

وتناول التقرير بعد ذلك حاضر الثقافة العربية فقال إنها منذ قرن من الزمان — دخلت في دور نهضة — بعد مرحلة طويلة من التأخر والركود — واتجهت في ذلك اتجاهين لم تجد من كليهما بدا : الأول إحياء قديمها الزاهر ، والثاني الاقتباس من معارف الغرب وعلومه . وقد لابست تلك النهضة ظواهر أهمها ما يلي :

(١) انقسام المثقفين العرب طوائف : إحداها اندفعت نحو ثقافة الغرب دون أن تتسلح بالمعرفة الحقيقية لتراثها القديم ، والثانية ظلت منطوية على نفسها عاكفة على قديمها الذي فقد أصالته في عصور التأخر ، والثالثة طائفة وسط حاولت أن تزيد في ثروة الثقافة العربية بخير ما تثقفه من الثقافة الغربية . وقد أثر هذا الانقسام بدوره على الفرد فأورثته التناقض وكاد يشله عن السير في الحياة .

(٢) اضطراب الموازين الخلقية والاجتماعية في المجتمع العربي ، والحيرة بين مقتضيات روح الدين والتقاليد من جهة ، وما تتطلبه بعض مظاهر الحياة المدنية الحديثة من جهة أخرى .

(٣) ضعف الوحدة التعليمية في البلاد العربية لاختلاف معاهدها في ألوانها واتجاهاتها الثقافية فتعددت النظم واختلفت تبعاً لذلك العقليات والأهداف .

(٤) اضطراب المجتمع العربي بين الذوق الفني المتوارث وبين ما يفد عليه من الفنون والآداب الغربية مما نوع الاتجاهات فلم يعن على تميز طابع واضح للانتاج الفني العربي .

(٥) انشغال الذهن العربي بمشكلاته السياسية والتعليمية والعمرانية ، فلم يستطع بعد أن يفرغ كثيرا للشعور الحقيق بكيان ثقافته ومعرفة مقوماتها ومحاولة التوفيق بينها وبين ما نقتبسه من ثقافة الغرب .

ولخصت اللجنة أهداف الثقافة العربية الحاضرة، بأنها في روحها ثقافة إنسانية، وأنها تستطيع الإقبال على الثقافة الانسانية العصرية دون أن تفقد خصائصها ومقوماتها الجوهرية، وأن الإقبال على الثقافة العصرية ضرورة لحياتنا وسلامة أوطاننا ونهضتنا العلمية والاقتصادية، ولا ينجم عنه إلا الخير والقوة إذا ما وعى العرب خصائص ثقافتهم العربية وعياً صادقاً واعتزوا بها وتمثل فيهم روحها في التربية المدرسية وفي مناهج الحياة.

اشمال الفنون:

رأينا توسع لجنة الثقافة العربية في مدلول كلمة «الثقافة» بحيث شملت العادات والتقاليد، وقالت اللجنة إنها تشمل الاتجاهات الفنية، وقد حوت توصياتها كثيرا من الأمور الثقافية المختلفة التي ذكرنا أهمها في عدد سابق. ولكنها مع ذلك لم تلتفت إلى الفنون باعتبارها من ألوان الثقافة وأدواتها، فلم تقل ولم توص بشيء عن المسرح والسينما والإذاعة والموسيقى والنحت والرسم.

حقاً أننا نعاني أزمات في هذه الفنون، وأن أمورها مضطربة، وبعضها ينحرف عن جادة الفن، وخاصة السينما التي لا تزال أداة للهو الرخيص والتسلية الفارغة من الموضوع، مما يجعل المثقفين يزورون عنها ولا يكادون يعترفون بثقافتها بل فنيتها ...

وحقا أيضا أن فنوننا — في مجموعها — لم تستطع بعد أن تقنع ذوي الجد والوقار بأنها فنون لها غايات تقصد.

ولكن ذلك كله لا ينبغي أن يدعو إلى إهمالها، بل هو على العكس يدعو إلى الاهتمام بها لتحديد موقف الدولة منها وتوجيهها توجيها نافعاً بحيث تؤدي رسالتها على الوجه الصحيح.

ومما يؤسف له أن برنامج المؤتمر أيضاً خلا من المظاهر الفنية عدا «معرض الزخرفة الاندلسية» الذي تحدثت عنه في الأسبوع الماضي والذي لم يلق ما هو جدير به من العناية. وقد كان من الممكن أن تدبر بعض الحفلات التمثيلية أو الموسيقية. وكانت هناك في المسرح القومي بالإسكندرية الفرقة المصرية للتمثيل التي أنهت مدتها بالإسكندرية قبيل انعقاد المؤتمر وقد حدثت في

كشكول الأسبوع

▫ أبلغ وزير إسبانيا المفوض معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف أن الحكومة الاسبانية وافقت على طلب الحكومة المصرية الخاص بانشاء معهد فاروق الأول للدراسات الاسلامية بمدريد. ويزمع معاليه إرسال بعثات من المتخرجين لدراسة التاريخ الاسلامي والآثار والفنون الأندلسية في ذلك المعهد.

▫ قررت الحكومة المصرية إنشاء معهد ثقافي مصري في طنجة. وقد جاء في الأنباء الخارجية أن فرنسا واسبانيا قلقتان لهذا المشروع. ولا عجب أن يساورهم القلق لذلك، فهم دائبون على قطع الصلات الثقافية بين بلاد المغرب وسائر بلاد العرب، وإنما العجيب أن ينجحوا بإبداء هذا القلق الاستعماري. ويذكر القراء ما ذكرناه قبلا من اهتمام معالي الدكتور طه حسين بك بنشر الثقافة المصرية في شمال إفريقية وما صرح به معاليه من معاملة المثل بالنسبة للمدارس الأجنبية في مصر، التي تقف دولها في سبيل تحقيق ذلك الغرض

▫ تم تأليف فرقة المسرح المصري الحديث من خريجي معهد التمثيل العالي، وهي الفرقة التي كان يعمل الأستاذ زكي طليمات على إنشائها للنهوض بالمسرح المصري، وقد عين مديراً لها. وبقيت الفرقة المصرية كما هي بعد أخذ أكثر خريجي المعهد منها، تحت ادارة الأستاذ محمد الشريف

▫ وتفتتح فرقة المسرح الحديث موسمها القادم في الأوبرا بمسرحية «ابن جلا» للأستاذ محمود تيمور بك وتدور حوادثها حول الحجاج الثقفي. وتقدم الفرقة بعد ذلك مسرحية «الأيدي القذرة» للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، ومسرحية «لكل حقيقته» للكاتب الايطالي بيراندلو، والكاتبان لم يسبق أن قدم المسرح المصري لهما روايات. وتقدم أيضاً رواية «شاهين ماهات» للاستاذ توفيق الحكيم

▫ اقترحت إحدى المفوضيات في الباكستان أن يؤلف هناك مجلس ثقافي يعمل على تعميم اللغة العربية وتعليمها وتنفق عليه جامعة الدول العربية ... ولست أدري لم لا تريد الباكستان أن تنفق على تعليم اللغة العربية في بلادها ؟!

ذلك بعض المسئولين ، ولكن الوقت كان قد فات فلم يدبر الأمر من قبل ولم يكن فى الإسكندرية غير شكوكو واسماعيل يسن ومحية كاريوكا ...

ألا ترى معى أن انعقاد مؤتمر عربى كبير دون أن يكون فى برنامجه ومظاهره نشاط فنى ، يدل على فقر البلاد فى الفن ، وأن هذا الفقر الفنى كان جديرا بنظر المؤتمر ؟

ولعل عذر لجنة الثقافة أنها كانت بصدد الإجمال وأنها تركت التفصيل للمؤتمر الخاص بالثقافة ، ولعله القادم ، ولعل الفنون تأخذ بطرف من عنايته .

ومما يذكر أيضاً أن المؤتمر لم يكن فيه أحد من المشتغلين بالفنون يوجه الاهتمام إليها .

تكوين المؤتمر:

وعلى ذكر خلو المؤتمر من الفنانين أقول إن أعضاءه كانوا إلا قليلا من المعلمين ومشاغلى مناصب التعليم، وإن الإدارة الثقافية ووزارة المعارف فى البلاد العربية عنيت باختيار الأعضاء من رجال التعليم ، ومن القليل أن الوفد السورى كان به طبيب بيطرى وموظف كتابى . وعلى ذلك لم نلق فى المؤتمر أحداً من الأدباء غير المشتغلين بالتعليم، وقد كنا نود أن نرى وجوها عرفنا أقلامها. وكان يجب أن يشكل المؤتمر من هؤلاء وهؤلاء ، وكان يجب أن يكون فيه كتاب صحفيون يحدثون قراءهم عنه وينقلون صداه إلى آفاق أوسع من قاعته ..

ومما يؤسف له أنه قصد إلى إهمال الأدباء والصحفيين فى عضوية المؤتمر قصدا ، فقد سمعت الأستاذ سعيد فهيم وكيل الادارة الثقافية يقول إنهم لا يبيحون العضوية العاملة للصحفيين ، بل يحضر منهم من يريد دون الاشتراك العملى فى المؤتمر !!

والأستاذ لا يقول ذلك أو يفعله بسوء نية .. إنما هو نوع من الادراك ! ولكنه يحتاج إلى ان يعلم أن معالى رئيس المؤتمر الدكتور طه حسين بك ومدير الادارة الثقافية الدكتور أحمد أمين بك وأحد أعضاء وفد مصر الرسمي الأستاذ أحمد حسن الزيات وغيرهم من قادة الأدب والفكر — صحفيون . بعضهم كان وبعضهم لا يزال . والكلام فى هذه المسألة بدهي ، ولكن ما حيلتى ؟!

العنصر النسوى فى المؤتمر

كان معظم النساء اللائى اشتركن فى المؤتمر مرافقات لأزواجهن وخاصة المصريات ، فلم يكن من غير الزوجات إلا اثنتان ، هما الدكتور رمزية غريب والآنسة عزيزة توفيق . وقد أشرت فيما سبق إلى إهمال دعوة الهيئات النسوية فى مصر إلى الاشتراك فى المؤتمر ، وفى وزارة المعارف سيدات وآنسات فضليات بعضهن مراقبات وناظرات ومفتشات ، ومع ذلك لم تشترك إحداهن فى المؤتمر ولم تشرك إحداهن فى الوفد الرسمى كما فعلت سوريا ولبنان .

وقد كان فى المؤتمر نحو سبعين سيدة وآنسة أكثرهن من سوريا ، وقد لوحظ أنه لم يكن لهن نشاط يذكر فى المؤتمر، وكل ما فى الأمر أن عدداً قليلا منهن اشترك فى بعض اللجان ، ولم يشترك فى المناقشة العامة فى جلسات المؤتمر إلا الدكتورة رمزية غريب وهى مدرسة فى معهد التربية العالى للبنات ، وقد تحدثت على المنصة حديثا منطقياً قيما .

وبعد فمتى نرى النصف الآخر فى مجتمعاتنا نصفا حقا ؟

عباس خضر

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة، وحد البلاغة والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المعروفة ، العامية الأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

من وحي السيرة

تأليف الأستاذ جمال الدين الرمادي

(٩٥ صفحة ـ دار الفكر العربي)

للاستاذ محمد محمد علي

كتب الكثيرون عن السيرة النبوية الشريفة ، ولا غرو فليس هناك منهل أعذب من السيرة ولا ميدان أوسع منها . بيد أن القليلين هم الذين رأوا في حياة الرسول (ص) إلهاما ، هؤلاء هم الفنانون ، أولئك الذين بهرتهم حياة الرسول الكريم ، فصوروا خلجات نفوسهم وخفقات قلوبهم بعد إذ أثرت فيهم السيرة تأثيرا عظيما . ومن هؤلاء صديقنا الأستاذ جمال الدين الرمادي . فهل أتى بجديد ؟ نعم فقد « أعجبته مواقف رائعة من مواقف الرسول (ص) فانطلق ببراعته يصورها وطفق بريشته يحيطها بإطار يود أن يكون بفكرته وأسلوبه بهيا أنيقا ، ولكن مع هذا لا يحيد عن الحق ولا ينصرف عن التاريخ ما استطاع إلى ذلك سبيلا ! » هذا هو الدستور الذي سار عليه المؤلف في رسم روائعه الفنية .

وتقرأ الكتاب فلا تكاد تميز أسلوبه عن أسلوب عميد الأدب العربي . وهذا حق فقد أعجب صديقنا معالي الوزير وقلد أسلوبه حتى أصبح يحق : طه حسين الصغير . ويرد الجميل لصاحبه فيهدي يا كورة إنتاجه إلى صاحب على هامش السيرة . ولكن كيف كان ذلك :

وضع الأستاذ نصب عينيه منذ الصغر أن الأدب منهل عذب يجب على الجميع أن يرشفوا من سلسبيله . فنشأ محبا للادب العالي مغرما بالشعر الرصين ، فاذا به ينظم الشعر حلوا رصينا بالعربية والانجليزية . وكان ذلك حينما بلغ خياله أعظم درجات خصوبته في مرحلة المراهقة . ولما أوتي من الأدب نصيبا موفورا أخذ يغذي « البلاغ » بتحفه الأدبية كما لم إسهامه على صفحات المصري والأهرام والرسالة من غير ما لا تأخذه نشوة الجرس الموسيقي الذي تبعث من وضعه البديع للنور الوليد :

« ابشري يا نفوس ، وافرحي يا قلوب ، وغردي يا طيور ، واملأي الدنيا بحلو الأغاريد وعذب الترانيم ، وحلقي بين الأجواء سكارى بذكر الواحد القهار وذكر الرسول المرتقب المختار »

رسم لنا المؤلف في كتابه إحدى وعشرين لوحة من وحي السيرة الشريفة تمثل فجر الاسلام : النور الوليد ، الفتى الراعي ، وانتشاره : سحر الإيمان ، الرفاف الحزين ، العزيز المفقود . وانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى : الفوز الراحل . صاغها في أسلوب عذب ، وكفاه عذوبة أنه أسلوب طه حسين الصغير .

تأمل قوله في الخاطرة الكبرى : « وتنفس الصبح وأخذت النزالة ترقى إلى عرشها النوراني في كبد السماء شيئا فشيئا ، تسكب الأضواء الزواهر على الرمال الشقراء فترف كأنها شعور غادة فاتنة هيفاء ، وتلتمع الحصباء كأنها سبيكة ذهب أو جذوة لهب . ويتبدى السبيل ساكنا صامتا ويتراءى قبل العين واضحا لا نبدو على أديمه إلا آثار خطى لا تلبث قبالة الغار أن تفور . »

ولقد طغى العصر الحديث بماديته على أعين الشباب فنأوا بجانبهم عن غذاء الروح . فما أحوجهم اليوم إلى مثل هذا الكتاب فيقظهم من ظلمات المادة ويردهم إلى نور الدين وبهجة الروح علهم يجدون خلاصا من قلقهم .

لذا فليس غريبا أن نغض الطرف عن الاخطاء المطبعية التي لا ندري كيف مرت رغم دقة مطبعة الاعتماد وفطنة ملاحظها الحريص . وإنا لنشارك صديقنا المؤلف أمله في مواصلة الكتابة في السيرة النبوية ، وذلك المنبع الروحي الذي يروي الظمآن في كل زمان ومكان .

محمد محمد علي
ليسانسيه في الاداب

قصص تمثيلية

تعميد الأدب العربي معالي الدكتور طه حسين بك

للاستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

أمثال هذه الآيات المسرحية العالية لها أكثر من جانب

من القصص التركي الحديث

الحلة العسكرية

للكاتب القصصي التركي الأستاذ ر. تانكور

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

لم يكن الجيش الذي أحرز النصر الحاسم قد زايل «بوزبوك» بعد، وكان أهل قرى «أفيينار» و «قره كوس» و «جاس دره» وبقية القرى المجاورة يذهبون إلى «بوزبوك».

وكانت قوافل أولئك الفرويين التي ازدحمت بهم الطرقات مكونة من النساء والفتيات والشيوخ الذين جاوزوا الستين من أعمارهم. ولم يكن بين تلك الأمواج الزاحفة إلى «بوزبوك» فتى واحد بلغ العاشرة من عمره. نعم لم يكن فيهم فتى واحد بلغ العاشرة لأن أولئك الفتيان كانوا في ميدان القتال منذ أسابيع. فقد خفوا إلى ميدان القتال ليكونوا في مؤخرة جيش عصمت باشا ليساعدوه.

وكان في الصفوف الأمامية من ميدان القتال خطيب أجمل فتيات قرية «جاس دره» زهرة الشقراء.

إن زهرة قد فارقت خطيبها «عمر» منذ بدء معركة «إينونو»

يصل بينها وبين البقاء الطويل؛ منها أنها تقدم للشباب الذين يعالجون هذا اللون من الإنتاج نماذج ناضجة تأخذ بأيديهم وتسدد خطاهم، وتجد فيها الطبقة المثقفة التي تقرأ المتعة الذهنية الراقية أروع ما يتيح لها هذه المتعة الفكرية والوجدانية، وتجد القارىء العادي في أسلوب — الدكتور — السهل الممتنع ما يرضي حاجته؛ ويثقف ذهنه، ويشبع وجدانه؛ ويجد فيها الشاب من الأساليب الفكرية ما يغذي نزعته المنطقية؛ وفي عمق فلسفتها ما يرشده في حيرته النفسية وفي فنها ما ينضج خياله؛ ويخصب وجدانه ويتكفل بإشباع توازعه وما يحول بينه وبين ما يفسد عقله ويشوب عواطفه من هذا الذي يعرض بين يديه ولا يجد من يعصمه من شره؛ وتدفعني قوة تأثير هذه القصص؛ وحيويتها إلى الإعتقاد أن هذه الآثار ليست أوضح فكرة؛ ولا أدق تحليلا في فنها منها في هذا التلخيص والتحليل؛ وعمل الدكتور في هذا التحليل والتلخيص قد ألقى الأضواء على جو القصة؛ وقربها إلى الأذواق والافهام. فقد تعمق هذه المسرحيات؛ ونفذ إلى صميمها؛ ووقف على أهدافها ومراميها الفكرية والوجدانية والاجتماعية؛ وأعطانا صورة دقيقة للأفكار والمذاهب والمشاكل النفسية التي عالجها — المؤلف — مع تقاضيه عن تلك الألوان المحلية التي ليس لها خطر في صميم العمل الأدبي؛ وهنا أيضاً تتجلى مقدرة — الدكتور — حيث إستطاع أن يبرز لك أدق الخطوط؛ ويصور لك أعمق الخوالج النفسية في عفوية حية مؤثرة. فقد يعمد المترجم إلى أروع الآيات في فنها فإذا حاول أن يترجمها شوه جمالها، وجنى على روعتها؛ فلا بد للمترجم من الفقه الواضح؛ والمقدرة الفائقة في إبراز ما يحاول المؤلف إبرازه. ولا شك أن التلخيص أشق وأعسر من الترجمة؛ لأنه يعرض عليك أفكار المؤلف وصوره والأمانة في تقديمها كما أرادها صاحبها أن تخرج للحياة؛ والإيجاز بالتخلي عن بعض ما يسوقه المؤلف مما لا خطر له على معارف القصة، وقد كان لهذا اللون أثره في مرحلة المراهنة التي من أهم سماتها أزمات نفسية عنيفة. وقلق فكري ووجداني مضنى وظهور الميل القوي نحو القراءة والإطلاع ولا سيما كتب الأدب وسير الأبطال فكانت هذه القصص وأمثالها تشبع في كيانهم النفسي هذه الحاجات؛ وفي القصة أيضاً نوع سام من التربية الخلقية وقد أصبحت القصة أسلوباً تربوياً مؤثراً في مختلف مراحل النمو البشري. ويزيد في الاعجاب بأمثال هذه الكتب أننا نشكو الفقر في المكتبة القصصية عامة ومكتبة المراهق خاصة فليس فيها ما تزخر به مكتبة زميلة في الغرب. أليس في بعض هذه الآثار لأمثال هذا الكتاب ما يغري بالإقبال؛ ويدفع للقراءة والتذوق

محمد عبد الحليم أبو زيد
دبلوم في التربية وعلم النفس

الأولى ، وكان اندماج خطيبها مع الأبطال المجاهدين يهز أعطافها ويجعلها تتيه عجباً وغروراً ، ولكن إلى جانب ذلك كان ألمها وحسرتها على فراق خطيبها مهماً محزناً أيضاً .

إن هذا الفراق قد كسا خديها الورديتين شحوباً ، وجعل لونهما مثل لون شعرها الذهبي الأصفر .

كانت طول أيامها ، وفي جميع ساعات يقظتها دائمة التفكير في « عمر » ، فإذا نامت رأته في منامها . وإذا نظرت في صفحة الماء تمثل لها . وكانت تحس في داخلها إحساسات غريبة ، وكانت كأنها تسمع أصواتاً تناديها قائلة : اقطعي أملك من عمر ! ها هم أولاء أهل قرية « جاس دره » وقد انحدروا في الطريق ، وها هي ذي « زهرة » الشقراء بينهم ، إنها اليوم نشوى مطروب ، كانت تمازح شيوخ القرية ، وترسل ضحكاتها طليقة رنانة حيث ينتشر صداها في ذلك السهل المنبسط الفسيح .

إن خديها استعادتا لونهما الوردي الجميل ، كما أن عينيها عاد إليهما بريقهما ولمانهما السابق ، وكانت ترتدي ثوبها الأصفر الجميل الذي يناسب شكلها ، ويبرز بديع جمالها . كل ذلك لأنها — بعد ساعات معدودة — سترى حبيبها « عمر » .

كان الجو في ذلك اليوم صحواً ، والسماء زرقاء صافية ، وكانت الشمس قد بلغت أقصى ارتفاعها إلا أنه كانت الريح تهب عاصفة هوجاء زعزعاً ، وكانت الأرض كأنها تدور مع الريح في كل اتجاه ، وكان البرد قارساً شديداً .

***

كان الميدان الفسيح الذي صفت فيه الخيام حلقات يموج بأولئك الذين انتشروا أمام الخيام يحتفلون بالعيد ، وكانت الطبول تدق من غير توقف ، وتنشد أناشيد قرية « يانيق » . وكان آلاف الناس الذين جاءوا من قرى ومدن البلقان يشتركون في هذه الأعياد ، ويهنئون بذلك النصر المبين في ميدان الجهاد .

وعند الظهر تماما دوت ثلاثة أبواق معاً ، فسكن كل شيء في الميدان ، ثم نادى « باش جاويش » بصوت مرتفع :

« المدنيون إلى هذا الجانب ، والعسكريون إلى الجانب الآخر وليتقدم المختارون إلى جانبي » .

كان قد صدر أمر قائد المعركة المظفر عصمت باشا أن يعطى كل متطوع في الجيش من شباب القرى المجاورة إذن يوم يقضيه بين أهله ، على أن يعود في اليوم التالي إلى الجيش .

وكان « الباش جاويش » سيكلف مختار كل قرية أن يتلو قائمة أسماء شباب قريته ، وكل من يقرأ اسمه يخرج من صفوف الجيش إلى صفوف المدنيين ويعتبر مأذونا يوماً واحداً على أن يكون في مقر القيادة في اليوم التالي .

وعند الشروع في هذه العملية كان أهل قرية « جاس دره » قد وصلوا وانضموا إلى المدنيين من أهل القرى المجاورة المتجمعين في جهة اليسار ، وبين هؤلاء القرويين الذين وصلوا أخيراً « زهرة » الشقراء .

واستغرقت عملية قراءة الأسماء ساعة كاملة ، وكان الميدان قد خلا إلا قليلاً ، وخفت جلبة الجماهير من المدنيين فيه إذ لم يكن قد بقي فيه إلا أهل قرية « جاس دره » ، والأمهات أو آباء أو إخوان بعض المتطوعين الذين قرئت أسماؤهم ولم يظهروا .

في هذه الأثناء تقدمت فتاة قروية جميلة ، وعليها ثوب أصفر جميل حتى صارت بجانب « الباش جاويش » وقالت :

وأين متطوعو قرية « جاس دره » ؟

وعند ذلك سمعت من جانب العسكريين أصوات تقول :

هنا . هنا ، فقال لها « الباش جاويش » : أين مختار قريتكم يا بنيتي ؟ وأين قائمة الأسماء ؟ فأجابته قائلة :

إن مختارنا أيضاً في الجيش ، فالتفت الباش جاويش إلى « الأونباشي » الواقف إلى جواره وقال له : أعلنوا في صفوف المتطوعين : كل من كان من قرية « جاس دره » من الشبان فليأت إلى هنا حالاً . وبعد نحو دقيقة واحدة كان نحو عشرين شاباً قد أقبلوا إلى حيث كان الباش جاويش واقفاً ، والتفوا حول « زهرة » الشقراء التي كانت هناك وهم يتصايحون :

أيتها الفتاة زهرة ، مرحباً بك يا زهرة . كيف حال القرية أيتها الأخت ؟ .

وكانت كأنها لا تسمع شيئاً مما حولها وهي تكرر كلمتين

اثنتين لا تنفرج شفتاها عن غيرهما: أين عمر؟ أين عمر؟ عمر. عمر. وفى تلك الأثناء كان أهل قرية «جاس دره» قد اختلطوا بأولئك الشبان يعانقونهم، ويتبادلون معهم القبلات مع دموع الفرح والابتهاج، وكان الذين التقوا بأمهاتهم أو آبائهم أو أخواتهم لم يأبهوا — أول الأمر — للحال المحزنة التى كانت عليها فتاتنا الصغيرة «زهرة» الشقراء، ولم يكن بقى حولها من تعرفه سوى الباش جاويش والأونباشى، والحاج صادق.

كانت عينا صادق قد ابتلتا بالدموع، وكان لسانه كأنه محبوس فى حلقه، فلم يتمكن من قول شىء، وبصعوبة استطاع أن يلفظ كلمتى: أختى. زهرة.

وهنا كان قلب زهرة الشقراء قد انسحق ألماً وحسرة، ولم تعد تملك السيطرة على دموعها، فرفعت يديها كما يفعل المبتهلون الذين يطلبون المدد من السماء — وصاحت: «عمر. عمر. أين أنت؟».

وبينما صادق يحاول التحدث مع زهرة وإعطاءها كتابا أخرجه من جيبه مع منديل يمانى، كان الباش جاويش قد وصل إلى زهرة الجميلة. ورفعها من على الأرض وضمها بين يديه كما يفعل الأب الحنون، وقبلها بين عينيها وهو يقول:

لا تبكى يا عزيزتى. إن البكاء لا يليق بالفتاة التركية، إن حبيبك عمر وقع فى ميدان القتال شهيداً، ولكن التى نالها عمر لا ينالها كل أحد، واسمعى حتى أشرح لك المسألة:

كان القرويون والشبان قد تجمعوا وكونوا حلقة ضيقة، وساد بين الجميع صمت رهيب، فأخذ الباش جاويش رأس زهرة بيده اليسرى وأشار بيده اليمنى إلى مسيل ماء ضيق يلوح من بعيد كأنه خيط دقيق رمادى اللون وقال: هل ترين مجرى الماء الذى أمامنا، فقد كنا بعد ظهر أمس نطارد العدو النازل حول ذلك المجرى، وكان — على ما علمت بعد ذلك — عمر معنا، وانتهينا من هذه العملية، إلا أنه كان بقى على الجانب الآخر من النهر جنديان من جنودنا فوقع فى أيدى فلول جيش العدو، وكانا يصرخان صراخاً مؤلماً وهما يجودان بأنفاسهما بين أيدى العدو.

فى تلك الأثناء خاض أحد جنودنا الماء من جديد واجتاز النهر، وذهب لنجدة أخويه فى الجندية، وفجأة وعلى غير انتظار — لا أدرى كيف حصل ذلك — ظهرت بعض فلول جيش العدو هناك، وصار هذا الجندى الباسل الذى ذهب لنجدة أخويه — وذانك الجنديان معه — صار هؤلاء الجنود الثلاثة محاطين بقوة كبيرة من جيش العدو، وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الدفاع عن أنفسهم ضد قوة تفوقهم أكثر من عشرين مرة. فصاروا يقاتلون ويدافعون عن أنفسهم كالأسود الضارية. وكان قتال مرير تساقط فيه الأعداء مثل سنابل القمح حصدت بمنجل حاد.

إلا أن أحد أبطالنا المقاتلين ببسالة كان قد وقع على الأرض فجأة فرأى ضابطاً من ضباط الأعداء يلقى بنفسه عليه. وعند ذلك تحامل جنديانا على نفسه، وبذل كل ما فى وسعه من جهد، وأمسك بيد ذلك الضابط، وعض أصبعه حتى قطعها، ويظهر أن ذلك الضابط فقد وعيه من شدة الألم، فلم يأبه للحربة التى فى يده، وكأنه نسى طريقة القتال بالحراب، وأخرج مسدسه، وأفرغ كل ما فيه من رصاص فى رأس ذلك الجندى الباسل.

ثم علمت هوية ذلك الجندى الشجاع — فقد كان أشجع أفراد فرقتنا وأكثرهم إقداماً — إنه كان خطيبك عمر».

ثم واصل الباش جاويش حديثه وكأنه كان فى تلك اللحظة يشاهد تلك المشاهد أمامه، فقال:

«كان بطل «جاس دره» عمر مستلقياً على ظهره، وعيناه الواسعتان محملقتين فى اتجاه الميدان، كان قد فارق الحياة».

بعد أن سكت الباش جاويش هدأت نفس زهرة قليلا، وانقطع صوت بكائها أيضاً، وعند ذلك وقف صادق أمامها ومد يده إلى زهرة وقال:

زهرة خذى هذا الكتاب الذى كان عمر أعده قبل المعركة بيومين ليرسله إليك، ولم يرسله. وهذا المنديل الأصفر الذى معه فهو هديته إليك. فتناولت زهرة آثار خطيبها الشهيد كما تتناول

كتاباً مقدساً ، ثم دستها فى صدرها ، ومرت عدة دقائق فى صمت رهيب ، ثم رفعت زهرة رأسها ونظرت إلى الباش جاويش نظرة توسل ، ومدت إليه يدها بالكتاب الذى كاد يتمزق ، وفهم الباش جاويش غرض زهرة من هذه الحركة ، فقال : هاتى يا بنيتى حتى أقرأه لك .

هذا الكتاب الذى أعده عمر ليرسله إلى حبيبته ، ولم يقدر له الوصول إلى القرية . لم يكن طويلاً ، فقد قرأه الباش جاويش بنظرة سريعة ألقاها عليه ، فامتلأت عيناه بالدموع . ويظهر أن هذا الجندى الذى كان قبل لحظات ينصح زهرة ويقول لها : لا ينبغى للفتاة التركية أن تبكى » — لم يستطع أن يغالب دموعه فمد الكتاب إلى الأونباشى الذى بجانبه قائلا : إقرأه على زهرة

إن هذا الكتاب القصير المكون من عدة أسطر المبدوء بكلمة : « زهرتى » كان يبين بوضوح أى بطل شجاع كان ذلك القروى التركى ، وأى قلب كبير الآمال كان يحمل بين جنبيه : « زهرتى . إنى فى شدة الشوق إلى رؤيتك ، وألمى لفراقك لاحد له ولا نهاية.

فى اليوم الذى نخرج العدو من هذه التربة — تربة الوطن — سنتزوج ، وسأكون يوم عقد زواجنا فى حلتى العسكرية . إن عمر الجاس دره صار الآن الأونباشى عمر . وإلى الآن لم ألبس الحلة العسكرية . ذلك لأن الملابس العسكرية غير متوفرة . وأخبرنا القائد أننا جميعاً سنعطى الألبسة العسكرية فى القريب العاجل.

أمس لبست حلة أحد رفاق الجنود العسكرية ، فقالوا لى : إنها منسجمة عليك جداً يا عمر . وسأرى هل تقولين أنت أيضاً مثل ذلك يا زهرة ؟ ابق سعيدة . سلامى إلى كل أهل القرية » .

* * *

من ذلك اليوم لم تظهر زهرة الشقراء فى القرية ، لأنها لم تكن قد عادت إليها ، إذ ماذا عسى أن تساوى قرية « جاس دره » بدون عمر ؟ !

* * *

بعد انتهاء معركة « اينونو » بالنصر الحاسم ذهب بعض الجنود البواسل من هذا الميدان للاشتراك فى معركة التحرير فى « إزمير » ، فتحدث بعض هؤلاء أنهم رأوا فى الصفوف الأمامية فى المعارك الأخيرة فى ميدان « اينونو » امرأة قادمة من إحدى قرى « يوزويوك » تلبس حلة عسكرية وتقاتل قتال الأبطال المستبسلين .

فقد استولت زهرة الصغيرة الجميلة على الحلة العسكرية التى لم يتمتع حبيبها عمر بفرحة ارتدائها ، واشتركت فى القتال انتقاماً لخطيبها ، وقاتلت حتى استشهدت فى ميدان الجهاد كما استشهد خطيبها وحبيبها من قبل .

(حلب) برهان الدين الرأفت

وزارة المعارف العمومية

الادارة العامة للصحة المدرسية

المراقبة العامه للتغذية

اعلان وظائف

تعلن الادارة العامة للصحة المدرسية (المراقبة العامة للتغذية) عن حاجتها إلى الموظفين الآتيين بالمؤهلات المذكورة أمام كل وظيفة .

١ — مفتشين فنيين للأغذية (بكالوريوس زراعة) درجة سادسة

٢ — معاونين صحيين (دبلوم معهد المعاونين الصحيين) درجة ثامنة وسابعة

فعلى راغب الالتحاق في احدى هذه الوظائف . ممن تتوافر لديهم المؤهلات المذكورة . التقدم بطلبه على الاستمارة ١٦٧ ع . ح إلى الادارة العامة للصحة المدرسية (المراقبة العامة للتغذية) شارع الهامى باشا رقم ٦ الحلمية الجديدة . مع ذكر درجة النجاح

ومن كان فى خدمة الحكومة المصرية عليه التقدم بهذا الطلب عن طريق المصلحة التابع لها . وآخر ميعاد لقبول الطلبات هو يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٠ ولن يلتفت للطلبات السابق تقديمها قبل هذا الاعلان ٥٩٧٥

سكك حديد وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى ابتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت اهتماماً خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى اقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الاعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الاعلان فى تلك المطبوعات لايقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته

ولزيادة الاستعلام خابروا — قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة